دراسة بنية المفارقة

فى النص السردى الحديث رواية "عود على بدء"

لإبراهيم عبد القادر المازنى أنموذجاً

بقلم الدكتورة

إيمان حلمى أحمد بغدادى

مدرس بقسم الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الخامس (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة بنية المفارقة فى النص السردى الحديث
رواية "عود على بدء" لإبراهيم عبد القادر المازنى أنموذجاً

إيمان حلمى أحمد بغدادى

قسم الأدب والنقد ـ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : emanhelmy.14@azhar.edu.eg

الملخص

يسعى هذا البحث للكشف عن فاعلية آلية المفارقة فى رواية عود على بدء للمازنى ، وذلك من خلال دراسة مفهوم المفارقة بمعنييه (اللغوى والاصطلاحى) كون المفارقة بشكل عام والمفارقة الدرامية بشكل خاص هى أداة تعيد تشكيل الخطاب الظاهر عبر الإشارة إلى البنية العميقة للخطاب من خلال تجاوز الأنماط الكتابية المألوفة ، وتخطى محدودية الدلالة وأحاديتها نحو انفتاح النص وتعدد معانيه ، وهنا يضطر المتلقى إلى التفكير فى الخطاب الدائر أو الحوار الماثل .

أضف إلى ذلك أن المفارقة الدرامية تعد الأكثر ملائمة فى دراسة القصص والروايات، إذ إنها تعتمد فى جوهرها وحقيقتها على نمو الأحداث وتأزمها .

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أثبتُّها فى الخاتمة ، كان من أبرزها أن المازنى استخدم هذه التقنية الأسلوبية فى روايته كأداة يكشف من خلالها رؤيته للعالم من حوله ويصور بها واقعه ، دافعًا من خلالها المتلقى إلى محاولة استكشاف البناء الفنى القائم على التنافر والتناقض .

الكلمات المفتاحية : المفارقة ، السرد، الدرامية، عود على بدء، المازنى.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Dramatic structure of paradox in the modern narrative text The novel 'Return to Beginning' by Ibrahim Abdel Qader Al Mazni is a model

Iman Helmy Ahmed Baghdadi
Department of Literature and Criticism - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Alexandria - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt .
Email: emanhelmy.14@azhar.edu.eg

Abstract

This research seeks to reveal the effectiveness of the paradox mechanism in the novel "Oud Ali Start" by Al-Mazini, by studying the concept of paradox with its two meanings (linguistic and idiomatic), since the paradox in general and the dramatic paradox in particular is a tool that reshapes the apparent discourse by referring to the deep structure of the discourse by transcending patterns The familiar written script, transcending the limitation of the significance and its singularity towards the openness of the text and the multiplicity of its meanings, and here the recipient is forced to think about the ongoing discourse or the present dialogue.

In addition, the dramatic paradox is the most appropriate in the study of stories and novels, as it depends in its essence and reality on the growth and crisis of events.

The research concluded with a number of results that I proved in the conclusion, the most prominent of which was that Al-Mazini used this stylistic technique in his novel as a tool through which he reveals his vision of the world around him and depicts his reality, motivating through it the recipient to try to explore the artistic structure based on dissonance and contradiction.

Keywords: paradox - narration - drama - go back to the beginning - al-Mazni .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك الملك والملكوت ، المتفرد بالعزة والجبروت ، سبحانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . والصلاة والسلام على بدر التمام ، ومبعوث الهداية لكافة البشر والأنام ، المبعوث بالرحمة الربانية ، والمرسل من العناية الإلهية ، لنشر الرحمة والسلام لكل بنى الإنسان ، سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد؛

فإن دراسة المفارقة تأتى من التناقض الذى تسير عليه الحياة فى الوجود الإنسانى الذى تطغى على أفكاره وعواطفه ، حيث تصب منابعها فى صور أدبية تعبر عن الواقع وقضاياه أمام المتلقى ضمن صور مختلفة تكسر توقعاته وتثير دهشته واستغرابه فى إظهارها للمعنى الحقيقى الذى تسعى إلى إبرازه أمام القارئ .

وقد اعتمد البحث على نوع واحد من أنواع المفارقة وهى المفارقة الدرامية ؛كونها الأكثر ملاءمة فى دراسة القصص ؛ لأنها تعتمد فى جوهرها على نمو الأحداث وتأزمها ، وقد اكتفيت برواية (عود على بدء) للمازنى مصدرًا أساسيًا للبحث لسببين :

السبب الأول : إنه من المتعارف عليه أن العنوان يعد بمثابة المفتاح الذى يرسله المبدع للمتلقى لفك شفرة النص فضلاً عن ذلك يعد من عتبات النص التى تلعب دورًا رئيسًا فى الوقوف على فضاء النص ، والرواية التى

بين أيدينا يرسل عنوانها للقارئ أو المتلقى رسالة تبين له أننا مازلنا أمام طريق لم يقطع ذهابه حتى وصله البطل برجوعه أو بعودته .

فعنوان الرواية يقوم على مفارقة فى حد ذاته ، ويحمل العديد من الدلالات التى يتنبأ لها القارئ إذا تمعن فى قراءته بشكل دقيق ، فهو يجمع بين لفظتين متضادتين متنافرتين (عود) و(بدء) ، إذ العنوان المتنافر كما يتضح لنا يطرح العديد من التساؤلات التى تتسبب فى صدمة القارئ عند قراءته للوهلة الأولى من خلال الربط بين (العود والبدء) ، فالإسناد بينهما غريب والتناقض قائم على أساس أن لكل منهما مفهوم خاص ودلالة مختلفة.

السبب الثانى : أن المازنى يشكل ظاهرة فنية إبداعية تستحق الدراسة، وهو " يميل إلى تصوير الواقع فى صدق ، ويضفى عليه من الظلال والألوان مايجعل منه صوره حيَّة نابضة ، حتى ليخيل إلى قارئه أن صدى الضحكات يصك سمعه ، وأن مايصوره يمثل أمامه نابضًا بالحياة ، فياضًا بالحركة " (١)

وتحاول هذه الدراسة استقصاء توظيف (المازنى) للمفارقة الدرامية فى نصه الروائى استقصاءًا يقوم على الفنية التى سلكها النص فى صهر هذه التقنية ؛ لتكون ملبية حاجته فى بناء ثنائية مركزية تستعين بما استطاعت لتخدم طموح النص نحو أفق إبداعى قادر على الرقى بدور الأدب فى مواجهة العالم المتغير وكشف قتامته من جهة أخرى .

(١) المازنى ساخر العصر الحديث ، د/ إبراهيم عوضين ، الدار المصرية اللبنانية ، صـ٤٧.

وليس ثمة شك أن هناك دراسات حاولت الوقوف على ماهية المفارقة أو أشكالها أو تجلياتها ، لكن هناك حاجة ألح للوقوف على نوع واحد من أنواع المفارقة هى المفارقة الدرامية فى فن أدبى بعينه كالشعر أو القصة أو الرواية ، لذا كانت أهمية هذه الدراسة الحقيقية تأتى فى كونها تتناول المفارقة الدرامية فى فن نثرى لم ينل العناية الكاملة من الدراسات النقدية حول محور المفارقة ، وضمن نصوص أدبية قصصية لواحد من الكتاب العرب المشهورين الذين استحقوا عن جدارة أن تدرس نصوصه دراسات نقدية جادة فيها من حكمة وجمال ورونق فى رواياته المثيرة وقصصه القصيرة .

ولذا فمن الأسباب التى دفعتنى لاختيار هذا الموضوع

- التعرف بدقة على وجود المفارقة الدرامية فى الرواية فكرًا ومضمونًا .
- التعرف على الطريقة التى يلجأ إليها الروائى فى توظيف هذا المصطلح لخدمة النص الروائى .
- بيان ماتحققه المفارقة الدرامية من أبعاد جمالية داخل البنية الأساسية للرواية .
- أن هذه الرواية لم تنل حظًا وافرًا يليق بها من البحث والدراسة .

ومثلما لايخلو بحث أكاديمى من صعوبات ، فقد واجهتنى بعض العراقيل أذكر منها قلة المراجع التى اهتمت بموضوع المفارقة فى الرواية العربية الحديثة ، وخاصة المفارقة الدرامية . والتى تخدم الموضوع خدمة مباشرة.

وقد اعتمد البحث فى دراسته للمفارقة الدرامية فــى الروايــة علــى المنهج الوصفى التحليلى فى الكشف عن المعنى الذى ســاقه الكاتــب فــى روايته ،والذى يهدف إلى غاية معينة فى نفسه أراد إبرازها بصــورة غيــر مباشرة أمام المتلقى (القارئ)

وتقع هذه الدراسة فى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ، ففى التمهيد تعرفت بإيجاز على مفهوم المفارقة لغة واصطلاحًا وحاولت جاهدة أن أتتبع التطور التاريخى لهذا المصطلح باختصار شديد كما تناولت أهم وظائفهــا ، والعناصر التى ترتكز عليها .

أما المبحث الأول : فخصصته للحديث عن المفارقة الدرامية فى رواية (عود على بدء) نموذج الدراسة ، وفى هذا المبحث قمت بتحليل الروايــة تحليلاً فنيًا مبرزة طريقة سرده للرواية ، ومدى نجاحه فى توظيف المفارقة الدرامية .

أما المبحث الثانى : جاء معنونًا بــ(تقنيات المفارقة الدرامية وآلياتها فى الرواية) وأشرت فيه إلى مفارقة الشخصية ، كسر أفق التوقع ، العنصر الكوميدى ، التجرد ، التوتر ،الصراع ، المفارقة القدرية .

هذا وأسأل المولى عز وجل التوفيق والثبات وحسن الثواب ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

التمهيد

مفهوم المفارقة

جاء فى معجم اللغة العربية المعاصرة : فارق يفارق مفارقة وفراقًا ، وفارق فلانا أى ابتعد عنه : باعده ، انفصل عنه وتركه ، ووردت لفظة المفارقة فى القرآن الكريم فى الآيات : "فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف "[١] وقال " هذا فراق بينى وبينك "[٢] وفى قوله تعالى "وظن أنه الفراق" [٣]

وورد فى لسان العرب : أن الفرق خلاف الجمع ، وفرقه يفرقه فرقًا ، والتفرق والافتراق سواء ، وومنهم من يجعل التفرق للأبدان والافتراق فى الكلام ، يقال : فرقت بين الكلام فرقًا وفرقت بين الرجلين فتفرقا ... ، وفرق الشئ مفارقة وفراقًا : باينه ، والاسم : الفرقة ، وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضًا ، ويقال أوقفت فلانا على مفارق الحديث : أى على وجوهه ، وفرق لى رأى : أى بدأ وظهر "[٤]

---

(١) سورة الطلاق ، من الآية رقم (٢).
(٢) سورة الكهف ، من الآية رقم (٧٨).
(٣) سورة القيامة ، من الآية رقم (٢٨) .
(٤) لسان العرب ــ ابن منظور ــ (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) دار صادر ، بيروت ــ لبنان ١٩٩٧مــ ــ ط(١) ، مجلد (٥) ،مادة (فرق) ، صـ ١٢٠،١٢١.

" وتعد المفارقة من زاوية المعجمية التاريخية عاملاً من عوامل التطور الدلالى للغة ، من حيث إن اللفظ يكتسب معها معنى جديدًا ، هو من معناه القديم بمنزلة النقيض وذلك حين يكون الخطاب للتهكم ونحوه " (١)

والمفارقة " ذات أهمية خاصة بحكم أنها لغة شاعرة لامجرد محسن بديعى " (٢)، وهى بذلك عبارة عن مصطلح غامض ويثير الالتباس وعدم الاستقرار ؛ لكونه يمتلك تاريخًا طويلاً يمتد إلى العصور الأدبية الأولى ، فهى لاتعنى اليوم ماكانت تعنيه فى العصور السابقة ، تختلف من قطر إلى قطر ، ومن باحث إلى باحث آخر ولهذا فقد تعددت تعريفاتها ولم يكن تعريفًا واحدًا جامعًا لها ، فكل شخص تناولها بحسب رؤيته ونظرته لها ، ويمكن تعريفها فى أبسط صورها ومفاهيمها بأنها " لعبة لغوية ماهرة ذكية بين طرفين ، صانع المفارقة وقارئها ، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفى ، وذلك لصالح المعنى الخفى الذى غالبًا مايكون المعنى الضد وهو فى أثناء ذلك يجعل اللغة ترتطم بعضها ببعض ، بحيث لايهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى يرتقيه ليستقر عنده " (٣)

---

(١) المفارقة القرآنية .دراسة فى بنية الدلالة ، د/ محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط(٢) ٢٠٠٦مـ ، صـ٩.

(٢) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د/ سعيد علوش ، ط(١) دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥مـ ، صـ ١٦٢.

(٣) المفارقة ، د/ نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول ، مجلد ٧، العدد٣،٤، القاهرة ١٩٧٨مـ ، صـ١٣٢. ، المفارقة فى الشعر العربى الحديث ، ناصر شبانة ، صـ٤٦.

وبهذا تكون المفارقة بمثابة اللعبة التى تجمع بين الصانع والقارئ ، إذ إن الصانع يقدم لقارئه نصوصًا مشحونة بغموض المفارقة ، وهذا يثير القارئ ويجعله يتخلى عن المعنى الحرفى المباشر للمنطوق ، ويعد عدته لمواجهة المعنى الخفى له . وقد وردت أول إشارة للمفارقة بكتاب "أفلاطون "الجمهورية "وقد أطلق عليها مصطلح (آيرونيئيا)الذي قصد به أرسطومعنى المغايرة ،التي تقوم على الحط من الذات بمنزلة أعلى نقيضتها (الأرونيئيا) أو المغايرة التي تقوم على الإدعاء ، ويكاد يجعلها في معنى المراوغة ، ولم تظهر كلمة مفارقة في الإنجليزية حتى عام ١٥٠٢م.

وهناك من يأخذ كلمة " (Ironia) من أصولها الإغريقية ، واشتقاقها في البلاغة الأوربية القديمة "[١]. فيقف عند فهم لسانى ضيق ويرفض التعامل من المفاهيم الفضفاضة ، وهناك من يأخذ الكلمة من زاوية فلسفية معتبرا الأدب مجرد مجال للتجارب. وتعرض د.نبيلة إبراهيم للمفارقة بقولها :"المفارقة بادئ ذي بدء تعبير بلاغي يرتكز أساساً على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية أو التشكيلية ....، لكنها تصدر أساسأ عن ذهن متوقد ووعي شديد للذات بما حولها "[٢].

فضلا عن ذلك فالإنسان "يعيش منذ نشأته داخل ظاهرة المفارقة ، يحياها ويلاحظها ويستخدمها دون أن يسميها أو يعييها ، أو حتى يدركها ، ذلك أن الناس مختلفون سواء في الاتصالات بها أو الانتباه لها ، تبعاً

(١) البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، محمد العمرى ، دار نشر إفريقيا للشرق ، المغرب، ط(١)٢٠٠٥مـ ، صـ٨٣.

(٢) فن القص بين النظرية والتطبيق ، د/ نبيلة إبراهيم ، ط دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ١٩٩٥مـ ، صـ١٩٧.

لتكوينهم الاجتماعي والثقافي ، وكذلك الميول الفطرية فكل فرد منهم يمثل الذكاء ونمط الشخصية .غير أن الإنسان ما إن أدرك أنه يعيش داخل المفارقة حتى توالت تعريفاته لها ، وتعليقاته عليها ، ولذلك سوف نجد أقوالاً كثيرة لكُتَّاب وفلاسفة وأدباء تتغنى كلها بأهمية المفارقة سواء في الأدب أو في الحياة "[١].

وهذا يبين أن المفارقة أداة أسلوبية قائمة على التناقض بين ماهو مباشر وغير مباشر ، وهذا الأسلوب يحمل فى طياته معنيين للكلام ؛ الأول :ـ معنى سطحى لايحتاج إلى عناء فى فهمه ولا يقصده صانع المفارقة ، والثانى :ـ عميق هو المعنى المقصود وهو معنى بعيد يفهم بعد القراءة المتأنية الفاحصة الدقيقة .

وهذا ماذهب إليه ناصر شبانة ، حيث يرى أن المفارقة انحراف لغوى يؤدى بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات ، وهى بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع [٢].

وتعد د/ يمنى العيد المفارقة من دعائم التأويل إذ تقول :" يرتكز التأويل على المفارقة بين الكلمات والأشياء ، أو بين اللغة باعتبارها تعبير يتوسل الملفوظات الصوتية ، وبين الواقع بما يعنيه من وجود مادى محسوس ، وتجربة معيشية ؛ وعليه فإن محتوى العمل الأدبى هو مجرد

(١) المفارقة فى النص الروائى (نجيب محفوظ أنموذجا) حسن حماد ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط٢٠٠٥مـ ، صـ٢٩.

(٢) المفارقة فى الشعر العربى الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط(١) ٢٠٠٢مـ ، صـ٤٦.

تصور ولا يمكن للحقيقة التى يبنى العمل الأدبى معناها إلا أن تكون تشبيه ، لذا فالمعنى من هذه الوجهة مفتوح على التعدد وربما اللامعنى " [١].

ومما لاشك فيه أن التأويل يعتمد على المفارقة التي تباغت المتلقي ، فتفتح ذهنه على عوالم لم تكن في الحسبان . إن لم تلعب المفارقة دورها الرئيس ألا وهو فتح العمل الأدبي على عدة قراءات ، فالمفارقة تصور آخر للمعنى أو يمكن القول :إنها عدة تصورات أخرى للمعنى .

وعليه فالمفارقة تمنحنا فرصة التأمل فيما تقع عليه أعيننا أوتتفتح إليه مداركنا من كل مايحيط بنا من أشكال التضاد والتغير والتناقض ، فيدفعنا للنظر فيه والبحث عن علاقات الاتصال أو التنافر بين عناصر المتشكل .

وقد تنبه دى سى ميويك إلى وجود ارتباط وثيق بين الأدب والمفارقة فقال : " أهمية المفارقة فى الأدب مسألة لاتحتمل الجدل " " إن الأدب الجيد جميعًا يجب أن يتصف بالمفارقة " وما على المرء إلا أن يسرد أسماء مشاهير الكتاب الذين تتميز أعمالهم بوجود المفارقة فيها ، آيسخليوس ، هوميروس ، يوربيديس ..إلخ ، ثم أعلن بعد ذلك أن المفارقة مفهوم رئيس فى النقد والأدب " وأنها ظاهرة على جانب كبير من الأهمية الثقافية والأوربية " [٢]

---

(١) فن الرواية العربية ، يمنى العيد ، دار الأدب ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، صـ٤١.

(٢) المفارقة وصفاتها ، دى سى ميويك ، ترجمة / عبد الواحد لؤلؤة ، صـ ١٦٠. وينظر: المفارقة فى شعر الرواد ، قيس الخفاجى ، دار الأرقم للطباعة والنشر ، بابل ، العراق ، ط(١) ،٢٠٠٧مـ ، صـ ٢٨.

ومن هنا فالمفارقة عنده جوهر فى الأدب ، وهى تعكس وظيفته الأساسية التى تقوم على الصراع بين الذات والموضوع ، الحياة والموت ، ولأنها تعكس الرؤية المزدوجة فى الحياة ؛ فإنها خير مايمثل الأدب باعتباره تمثيلاً صادقًا لما يجب أن يكون .

وتعد المفارقة وليدة موقف نفسى وعقلى وثقافى معين ، بمعنى أنها نتاج مواقف مأساوية على جميع الأصعدة والمستويات ، تستلزم أن يكون فيها المبدع أو الإنسان كائنًا ساخرًا مفارقًا تتحكم فيه العوامل الذاتية والموضوعية ، ضمن مواقف سياقية متأزمة وتراجيدية سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وثقافية وحضارية ، بمعنى أن المبدع قد يلجأ إلى المفارقة الرمزية أ الساخرة واللفظية والسياقية والدرامية عندما تكون الظروف السياسية والاجتماعية غير مناسبة لممارسة الكتابة والإبداع بحرية تامة .

وظيفة المفارقة :

ذكر الدارسون والنقاد جملة من الوظائف التى تتحقق باستخدم المفارقة ، فهى ليست مجرد محسن بلاغى طارئ على القول ، ولا هى مجرد شكل جميل " بل هى منهج معرفى بلاغى فلسفى لاشتراك القارئ فى متعة الملاحظة ، واختراق العوالم المتحدث عنها " [١]

---

(١) مستويات اللغة فى السرد العربى المعاصر ، محمد سالم الأمين ، مؤسسة الانتشار العربى، لبنان ، ط(١) ، ٢٠٠٨مـ ،صـ ١٤٦، المفارقة فى الشعر العربى الحديث ، ناصر شبانة ، صـ ٧٤.

ومن جملة الوظائف مايلى :

وظيفة فنية جمالية : وقد بدأت حديثى بهذه الوظيفة نظرًا ؛ لأن الدافع الفنى والجمالى فى الأدب والفن هو الذى يمارس الدور الأكبر من ضغوط صنع المفارقة كما ذكر ناصر شبانة فى حديثه قائلاً :" كل ممنوع عند القارئ مرغوب ، والأبعد هو الأجمل ، والغامض هو مايسعى القارئ إلى اكتشافه ، ومن هنا يحمل القارئ معوله فى جدار البنية اللغوية بحثًا عن كنز المعنى ولا شك أن فرحته لاتوصف حينما يعثر على المعنى المفقود " (١)

وبهذا تهدف المفارقة إلى التحريض وإثارة القارئ وإدهاشه وخلخلة بنية الوعى والإدراك لديه ، وهنا يسعى (المتلقى) أوالقارئ لتجاوز كل ماهو ممنوع وغامض ومبهم ، بغية إزاحة اللبس للكشف عن المختبئ وراء جدار المفارقة .

وظيفة (آلية) أسلوبية : تقوم على التناقض بين البنية السائدة وثقافة المبدع الخاصة التى تمنحه حسًا مفارقًا عن الأشياء من حوله اعتمادًا على الخبرة والأحداث والمواقف التى تنم عن طريقها تصوير الأشياء سواء أكانت فى الواقع الخارجى أم الداخل النفسى حتى تكشف عن الحقيقة المتوارية خلف ستار المظهر العام للنص ما .

وهذا يبين أن المفارقة فى بعض الأحيان تساعد الكاتب على المراوغة، فيستخدم على السطح القول السائد بين أنها :" تحمل فى طياتها قولا مغايرًا له ، وتستخدم المفارقة فى نهاية المطاف عندما تفشل كل وسائل الإقناع ...فعندئذ تظل المفارقة هى الطريق الوحيد المفتوح أمام الاختيار "(٢)

---

(١) المفارقة فى الشعر العربى الحديث (أمل دنقل ، سعدى يوسف ، محمود درويش أنموذجًا) ــ ناصر شبانة ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، ط(١) ٢٠٠٢مــ. صــ ٧٣.

(٢) المفارقة فى القص العربى المعاصر ، سيزا قاسم ، مجلة فصول ، القاهرة ، مجلد(٢) ، العدد(٢) ١٩٨٢مــ ، صــ ١٤٤،١٤٣.

وظيفة اصلاحية : للمفارقة وظيفة اصلاحية فى الأساس ، فهى تشبه " أداة التوازن التى تبقى الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم تعيد إلى الحياة توازنها عندما تحمل على محمل الجد كما تظهر بعض المؤلفات المأساوية فتوازن القلق ، لكنها تقلق ماهو شديد التوازن " [١] ، فالمفارقة تهدف إلى إعادة التوازن إلى الحياة ، وتسعى لإصلاح الظواهر السلبية فى المجتمع .

إن هذا الدور المهم لاينبغى إهماله أو التغاضى عنه ، وبالتالى يغدو من الضرورى إزالة الغموض عن هذه التقنية ودورها فى رفد المؤلف بمصادر تقنية متنوعة لإبلاغ رسالته بشكل فنى وخلاق .

أداة للتهكم والاستهزاء والسخرية : فقد تكون سلاحًا للهجوم الساخر ، وقد تكون أشبه بستار رقيق يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان ، وربما أدارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعى فتقلبه رأسا على عقب ، وربما كانت المفارقة تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لترى مافيه من متناقضات وتضاربات تثير الضحك . [٢]

فكأن الهدف من المفارقة الكشف عن التناقضات والتضاربات التى تعصف بالواقع وتزلزل أركانه وتغوص فى أعماقه لكشفه على حقيقته .

وظيفة تواصلية (اتصالية) : فهى تعد وسيلة (طريقة) خفية لتشاطر المعانى بين المبدع والمتلقى ، وذلك للتوصل إلى نوع من الفهم

---

(١) بناء المفارقة فى المقامات عند بديع الزمان الهمذانى والحريرى ، نجلاء وقاد ، مكتبة الأدب ٤٢ميدان الأوبرا ، القاهرة ، ١٤٦٢هـ / ٢٠٠٦مـ ، صـ ٢٩. المفارقة وصفاتها، دى سى ميويك ، صـ ١٢٥.

(٢) ينظر المفارقة (بحث) ، د/ نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول ، مجلد (٧) ، العدد(٣،٤) ،صـ ١٣٢.

المشترك ، ومن ثمة التوصل إلى نوع خاص من الدهشة والمتعة والتسلية ، والمتعة من أهم العناصر التى حرصت عليها العملية الإبداعية التى لايمكن تجاهلها أو إغفالها .[١]

ومن هنا تصبح المفارقة وسيطًا لغويًا بين المبدع والمتلقى ، وظيفتها نقل الخطاب .

حيلة بلاغية : حين يتناقض فيها المعنى الخفى مع المعنى الظاهر ، ومن الممكن ــ أيضا ــ أن يبنى الكاتب جملته على أساس من التعارض والتضارب بين المتوقع والمنجز أو بين الوضع الظاهر والحقيقة المتوارية خلفه .

ومهما يكن من أمر فإن المفارقة تخلق جواً من الشغف الذي يجعل المتلقي في حالة من البحث الدؤوب عن ماهية النص محاولاً إماطة اللثام عنه ، وحل أحجيته والوقوف على دلالته الخفية ؛ مما يجعل التلقي متعة للقارئ الفطن .

عناصر المفارقة

إن المفارقة أداة أسلوبية مؤثرة فى أى نص أدبى يشترط وجود أربعة عناصر هى :

المرسل : (صانع المفارقة)

---

(١) المفارقة فى النقد القديم فى ضوء النقد الحديث ، أيمن الصوالحة ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية ، إربد ٢٠١١مـ ، صـ١٦٣،صـ١٦٤.

غالبًا مايكون كاتب النص أو أحد أبطاله ، ومن واجبه أن يصنع جـوًا ملائمًا لنصه ، حتى لايصبح ضربًا من العبث ، ووجهًا من أوجـه العدميـة والخيال ، ويتيه صانع المفارقة فى عالم من اللاثبـات ....، ولابـد لصـانع المفارقة أن يكون ماهرًا وذا ذكاء وسرعة بديهة ، ويتميز بحنكة ومقـدرة لغوية لكى يستطيع أن يستمد من الواقع بنية لغوية يصنع بها عالم يشـوبه الغموض [١] .

الرسالة :

البنية اللغوية / وهى تخضع لإعادة تفسير ، [٢]ويقصد به النص الذى يكمن فيه التعارض أو التضاد الظاهرى . ويتحكم فى الرسالة عـدة أمـور منها :

وحدة البناء ، والتنسيق الدقيق ، وتعدد الدلالة ، ووجود القرينة ،التى يتمكن من قراءتها المتلقى الفطن الذى ينجح فـى سـبر أغـوار الـنص ، فالمفارقة تمثل انحرافًا " لايدوم طويلا ، إلا ريثما يتلقى القـارئ الصـدمة الأولى للمفارقة ، ثم يشرع بإعادة الأمور إلى نصابها من خلال إعادة إنتاج المعنى فى حين تظل الانحرافات الأدبية المعتادة ، كالاستعارة ، والتشـبيه ، والكناية تحتفظ بهويتها "[٣]

---

(١) عتبات النص ، جيرار جينيت من النص إلى المناص القديم ، عبد الحق بلعابد ، تقـديم د/ سعيد يقطين ، نشر الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، ط١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨مـ ، صـ ١٦.

(٢) المفارقة فى الشعر العربى الحديث ، ناصر شبانة ، صـ٥٢.

(٣) المرجع السابق ، صـ٦١.

المستقبل :

متلق واع حذر يعيد إنتاج الرسالة ، ويطلق عليه ضحية المفارقة ، وهو إما أن يكون أحد شخصيات العمل الأدبى أو القارئ لهذا النص . وتضيف الدكتورة / نبيلة إبراهيم عنصرًا آخر وهو :

الضحية :

"كلما ازداد عمى الضحية كلما كانت المفارقة أشد وقعا "[١] إن ضحية المفارقة لاتخدعه الظواهر وحسب ، أو أنه يخدع نفسه ، رغم أن ذلك يقترب من فكرة الغفلة المطمئنة الصرف "[٢]

---

(١)فن القص بين النظرية والتطبيق ، د/ نبيلة إبراهيم ، ط دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ١٩٩٥، صـ ٢١٠.

(٢)المفارقة ، دى سى ميويك ، صـ٤٤.

المبحث الأول

المفارقة الدرامية

إن المفارقة فى النص الأدبى الحديث والمعاصر ــ لاسيما فى الرواية والقصة ــ باتت تقنية شائعة ومحببة لدى الكتاب ، وترى سيزا قاسم / هيمنة المفارقة وأن النص الأدبى العربى المعاصرقد أخذ يسجل تحولا فى(العنصر المهيمن) فى الاتجاه الواقعى النقدى الحديث ، الذى يقوم على محاكاة الواقع إلى اتجاه يقوم على المفارقة .

فالمفارقة فى العمل الأدبى سر جماله وشعريته ، حيث تنظم أحداث القصة المرتبة كرونولوجيا فى الواقع ترتيبًا مخالفا فى الخطاب ، أى يحدث عدم توافق فى الترتيب الذى تحدث فيه الأحداث والتتابع الذى تحكى فيه "[1]فنجد مثلاً بداية فى الوسط يتبعها عودة إلى وقائع حدثت فى وقت سابق تشكل نموذجًا مثاليًا للمفارقة

وإن كسر هذه الصيرورة الكرونولوجية قد حدث حتى فى الرواية التقليدية ، ولكن ليس بالكثافة التى استخدم بها فى الرواية الحديثة ، إذ ظهرت المفارقة الاسترجاعية والاستباقية بكثرة مع ظهور مدرسة تيار الوعى .

وعملية المفارقة هى عملية ترجع فى الأساس إلى الراوى فتتولد انطلاقا منه المفارقات السردية ؛ لأنه هو الذى يحدث عدم التطابق بين نظام

(١) المصطلح السردى . جيرالد برانس ، ترجمة / عابد خزندار ، مراجعة وتقديم / محمد بريرى ، المجلس الأعلى للثاقفة ، ط(١) ٢٠٠٢مـ ، صـ٢٤

الخطاب ونظام القصة .فلو افترضنا أن قصة ما تحتوى على عناصر حدثية متتابعة منطقيا كما يظهر فى الشكل التالى :

ـــ أ ـــــ ب ـــــ ج ـ

ـــ↑ـــــ↑ـــــ↑ـ

إن هذا الشكل السردى نادرًا مانجد الروائيين يستعملونه لما له من مضاعفات سلبية على طبيعة الرواية المكتوبة محولاً إياها لنص بلا ذاكرة ، وهذا مانبه إليه بوتور حين قال :

" إذا بذلنا مجهودًا قياسيًا فى اتباع النظام بدقة متناهية دون الرجوع إلى الوراء ، حصلنا على ملاحظات مدهشة ، وهكذا تستحيل كل عودة إلى التاريخ العام ، وإلى ماضى الأشخاص الذين صادفناهم ، وإلى الذاكرة وبالتالى إلى كل ماهو داخلى ، فيتحول الأشخصاص عندئذ بالضرورة إلى أشياء ، ولا تعود رؤيتهم ممكنة إلا من الخارج ، وقد يصبح متعذرا على الكلام ، وعلى النقيض من ذلك عندما نستعين ببناء زمنى أكثر تعقيدًا ، تظهر الذاكرة كأنما هى حالة خاصة من هذه الحالات " "[١]

وبناء على ماسبق ؛ فإننا نرى أن سرد أحداث الرواية لابد وأن يتخذ شكلا مختلفًا مصفى من خلال مصفاة الراوى حتى وإن لم يقصد الراوى إحداث التغيير سيحدث ، فاللحظات المتزامنة على مستوى القصة مثلاً تفرض عليه فى الخطاب تقديم لحظة على أخرى ، أو أنه ينسى أحداثًا ويعود لاستدراكها فيما بعد فيصبح زمن الخطاب مثلا بهدا الشكل

(١) بحوث فى الرواية الجديدة ، ميشال بوتور ، ترجمة /فريد أنطونيوس ، سلسلة (زدنى علما) عويدات ، بيروت ، باريس ، ط(٢)، صـ ٩٨.

زمن الخطاب ـــــ أ ـــــــ ب ـــــــ ج ـــ

زمن الحكاية ـــــ ← ـــــــ ← ـــــــ ← ـــ

أو ذاك

زمن الخطاب ـــــ أ ـــــــ ب ـــــــ ج ـــ

زمن الحكاية ـــــ → ـــــــ → ـــــــ → ـــ

إذن فالمحتوى هو الذى يفرض الشكل الروائى وهذه بديهة تفـرض على شعرية الراوى أن يقدم شكلا يتناسب مع هذا المحتوى المعقد .

وبهذا تعد المفارقة خروجًا على دائرة المألوف وانزياحًا عن المعقول ، فهى تمثل رؤية معينة للعالم قبل أن تكون أسلوبا أدبيا أو لعبة لغوية تهدف الى هدم الثوابت والاشتغال على غير المتوقع وتجاوز العادى والجمع بـين المتناقضات والمتضادات وفى أحيان اخرى بين المتشابهات فى فضـاء قـد لايصلح لذلك مما يعمل على توليد المفارقة .

إن غير المتوقع هو من يشكل المفارقة القائمة على عناصر الدهشـة والمفاجأة وإثارة خيال القارئ ، ويكون هذا من خلال استخدام آليات متنوعة لبناء المفارقة منها التلاعب بالألفاظ ، والتضـاد ، والتنـاقض ، والفكاهـة والسخرية ، والانزياح .

وتاسيسًا على ماسبق تبرز ظاهرة المفارقة فى رواية (عود على بدء) للكاتب / ابراهيم المازنى الذى أفاد من هذه الظاهرة فى خلـق حالـة مـن التوازن بين المعقول وغير المعقول واليقينى والظنى والواقعى والمتخيل فى نصه الذى عمد الى طرح موضوعه عبر تشظية المعنى وعدم الوقوف عند

أحاديته المباشرة مستفيدًا من هذه التقنيات فى توظيف سيرته الذاتية والأجواء العجائبية فى بنية نصية واحدة .

وقد تنوعت أقسام المفارقة وتعددت ووجدنا أكثر من نمط مفارقى يسجل حضوره فى الرواية إلا أن الدراسة ستتناول المفارقة الدرامية التى شكلت نسقًا واضحًا واتضحت بصورة جلية فى الرواية .

وتعد المفارقة الدرامية من أنواع المفارقات التى اشتملت عليها نظرية المفارقة فى النقد الأدبى ، وهذه المفارقة الدرامية إنما تنبع من البنية العميقة للنص الأدبى بعامة والروائى بصفة خاصة ؛ لأنها تمثل جوهر النص وغايته التى خلق من أجلها هذا النص فى الحياة .

ولأجل فهم المعنى الدرامى فى المفارقة يستلزم ذلك توفر ثلاثة عوامل هى :

أولاً : يقتضى توفر توتر فى العمل القصصى ، ويمكن خلق هذا التوتر من خلال وضع شخصية تتسم بالغفلة فى مقابل أخرى مهما كانت هذه القوة أو الشخصية إنسانًا أو إلهًا أو قوة مثالية أخرى .

ثانيًا : فى هذا الوضع المحكوم بالتوتر ، يجب أن تكون الشخصية الأولى (الضعيفة) أو الغافلة جاهلة بحقيقة الظروف التى تحيط بها ، وبهذا يكون هناك تناقض بين مظاهر الأشياء وحقيقتها .

ثالثًا : يكون الآخرون وهم المشاهدون أو الذين لايشاركون فى صنع الأحداث ، أو توجيهها على وعى تام بالوضع الحقيقى للشخصية ، وبالتالى

فإن المشاهدين أو الآخرين يكونون على علم بما سبب إخفاق الشخصية الغافلة التى كانت تجهل حقيقة مايجرى حولها "[١]

والحقيقة أن هذه الشروط الثلاثة لاكتمال حدود المفارقة قد لا تتوفر جميعًا فى بنية حديثة واحدة ، بل قد يتوفر شرطان أو فى أحيان أخرى شرط واحد ، وعدم وجود الشروط الثلاثة مجتمعة مع بعضها لايلغى عن المفارقة صفة الدرامية ؛ لأن الطابع المأسوى فى القصة سيبقى مع وجود شرط واحد أو أكثر .

وتعتمد المفارقة الدرامية على بنية العمل أكثر من اعتمادها على علاقة الكلمات بدلالاتها ؛ إذ يحققها " كلام شخصية لاتعى أن كلامها يحمل إشارة مزدوجة ، إشارة إلى الوضع كما يبدو للمتكلم ، وإشارة لاتقل عنها ملاءمة إلى الوضع كما هو عليه ، وهو الوضع المختلف تماما لما جرى كشفه للجمهور " [٢]

كما تتحقق المفارقة الدرامية ــ أيضا ــ عندما نرى شخصية ما تتصرف بطريقة تتصف بالجهل بحقيقة مايدور حولها من الأمور ، وخاصة عندما تكون هذه الأمور ــ بالصورة التى تراها الشخصية .مناقضة تماما لوضعها الحقيقى [٣].

---

(١) نظرية المفارقة ، خالد سليمان ، أبحاث اليرموك ، الأردن ، مجلد ٩، العدد٢، ١٩٩١م، صـ٧٣.

(٢) المفارقة وصفاتها ، دى سى ميويك ، ترجمة / عبد الواحد لؤلؤة ، صـ ١٥٨.

(٣) المرجع السابق ، صـ٦٣:٦٥.

وهى بذلك تكاد تكون قريبة الارتباط بمفارقة الكشف عن الذات ؛ كون الضحية غير واعية بما يحدث نتيجة جهلها بحقيقة الأمور وغياب إدراكها بما تؤول إليه النتائج . (١)

ولا سيما عندما يكون المراقب مع الجمهور عالم بمصير الضحية ، فالمفارقة الدرامية هى علاقة المغايرة بين ماتفهمه الشخصية الغافلة بشكل محدود فى إطار معين وبين مايفهمه الجمهور فى اللحظة نفسها من الحقيقة المتكشفة . (٢)

وتبدو المفارقة الدرامية بالغة الأثر حينما لايكون الجمهور / المتلقى فحسب بل المراقب / الراوى على علم واضح بغياب الحقيقة عن الضحية.(٣)

---

(١) المفارقة وصفاتها ، دى سى ميويك ، ترجمة / عبد الواحد لؤلؤة ، صـ٩٤.

(٢) بناء المفارقة نظرية تطبيقية ، أدب ابن زيدون نموذجًا ، د/ أحمد عادل عبد المولى ، مكتبة الآداب ، ط(١) القاهرة ٢٠٠٩مـ ، صـ ١٧.

(٣) المفارقة ، ميويك ، صـ٩٣.

ملخص رواية (عود على بدء) للمازنى [١]

لقد شهدت الرواية تطورًا حاسمًا على صعيد الصنعة الفنية ، وأصبح بالإمكان تصوير العوالم الغريبة والبعيدة الوقوع ،" فقصة عود على بدء" للمازنى تقرب فى بنائها الفنى من المفارقة العجائبية ؛ إذ تقوم الرواية على الحلم واللامعقول مما يجعلها تتسم بالطابع العجائبى .

تنطلق أحداث الرواية من مدينة "طنطا "خاصة من حىّ الشيخة (صباح) ، حيث يشوقنا المازنى إلى طلعة الشيخة بأسلوب عذب مشوق متسلسل مستخدمًا فيه العبارات الدارجة التى لاتخرج عن نطاق العربية

---

(١) ولد المازنى عام ١٨٨٩مـ ، من أسرة تنتمى إلى قبيلة بنى مازن العربية ، وكان والده قد درس بالأزهر الشريف حقبة من الزمن ، ثم أكمل دراسته فى باريس ، وعاد فاشتغل بالمحاماة الشرعية ، وعلى الإجمال فقد نشأ فى بيئة دينية كان لها الأثر الكبير فى حياته ، ولكن توفى والده وهو صبى فذاق مرارة اليتم وشظف العيش وازداد تعلقه بوالدته ، وأتم تعليمه فقد التحق بكلية الطب بعد نيله الشهادة الثانوية ، ولكنه لفرط حساسيته لم يستطع رؤية الدماء فى دراسة الجراحة فانصرف عن الطب ، والتحق بمدرسة المعلمين وتخرج فيها ١٩٠٩مـ ، اشتغل أول الأمر بالتدريس ، لكنه لم يطق التقيد بالوظيفة ، فاستقال عام ١٩١٣مـ ، بيد أنه لم يجد وسيلة للرزق غير التدريس فاشتغل مرة أخرى بالتدريس حتى عام١٩٨١مـ ، ثم ترك هذه المهنة واشتغل بالصحافة إلى أن توفاه الله ١٩٤٩مـ ، من أشهر آثاره فى القصة (إبراهيم الكاتب) ، و(إبراهيم المازنى) ، (عود على بدء) ، (ميدو وشركاه) وفى الأقصوصة (ع الماشى) ، و(فى الطريق) و(أقاصيص) ومن أشهر مقالاته (حصاد الهشيم) ، و(قبض الريح) و(خيوط العنكبوت) ينظر: المازنى ساخر العصر الحديث صـ١١، وابراهيم عبد القادر المازنى شاعر النفس والحياة ، د/ عبد اللطيف عبد الحليم ، الدار المصرية اللبنانية ، ط(١) ١٤١٩هـ / ١٩٩٨مـ ، صـ٢٠،٢١.

الفصحى :كـ" ياستى الحاجة " ،" العادة ياسعادة " ، " تعبى راحة لـك " ، " قبل الظهر تكون الأمانة تحت السرير " وما إلى ذلك.

والحق أنه استطاع بأسلوبه الرشيق أن يبعث اللهفة فى نفوس قارئيه؛ لمتابعة قصته حتى النهاية ، ففى بداية القصة يتحدث عن لقائه وزوجته بالشيخة (صباح) قائلاً"ـ

"ودخلت علينا الشيخة صباح مسترسلة الأعطاف ، ناعمة غير متثنية على لينها ، كأنها ملكة ، وكانت ترتدى ثوبًا أبيض رقيقًا من الكتان ، وتغطى رأسها بشفٍ ينسدل على جانبى وجهها إلى كتفيها وصدرها الناهد ، ...، وقبلت زوجتى ، ومدت إلى يدا هممت أن أبوسها بطنا وظهرًا ، لولا هذه الزوجة التى لاتزال تظلمنى بسوء ظنها ولما دارت القهوة . نظرت إلى وقالت :ـ

" أرنى كفيك ،...، أبسطهما " ،" ولمستهما لمسًا خفيفًا ثم أرسلتها وأطرقت شيئًا ثم رفعت رأسها وحدقت فىّ دون أن تطرف وقالت : ستعطى مالم تطلب ، وتؤتى مالايباع ولايشترى ، وتسلبه فى اليوم نفسه ..." ومضت الشيخة صباح فى كهانتها غير عابئة بنا " وسينضى عنك ثوب الرجولة إلى حين ياصاحبى ، ونحت وجهها عنى وقالت وهى تودعنا : " أحسبنى لم أخاطب منك سوى أذنيك ، فإنى أحس أن قلبك بعيد ..." فأكدت لها أنه " مازال فى موضعه ، تحت الضلع العاشر أو تراه الخامس عشر ، معذرة ، فلست أعرف عدد هذه الضلوع " [١]

---

(١) عود على بدء ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، صـ ٨.

ويبدو للقاريء من الوهلة الأولى أن الشيخة (صباح) من طبقة العرافين الذين يقرأون البخت ، ويتنبأون بالمستقبل ، كما أنها امرأة جميلة وجذابة ومهمة يذهب إليها الناس من كل صوب وحدب ، استطاعت بمهارتها الفائقة فى الأسلوب وفى اللغة أن تجعل الكاتب (المازنى) يصدقها ويرسمها فى الرواية رسمًا منسجمًا مع الدور الذى تؤديه على الرغم من عدم تصديقه لتلك الفئة من البشر، وهذا يتضح فى بداية الرواية من خلال حديثه مع زوجته .

ولكن الشيخة (صباح) لم تكن سوى أداة فى يد الكاتب ووسيلة إلى تأدية وظيفة معينة فى النسق الزمنى للرواية ككل وهى استشراف المستقبل أو التنبؤ به .

ويمكننا القول : إن هذه التقنية هى " شكل من أشكال الانتظار أو التطلع " [١]، " وتعد بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجرى الإعداد لسردها من طرف الراوى فتكون غايتها فى هذه الحالة هى حمل القاريء على توقع حادث ما ، أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات " [٢]

والشكل الروائى الوحيد الأكثر قابلية وملائمة لتوظيف هذه التقنية هو الحكى بضمير المتكلم، إذ إن الرواى يحكى قصة حياته أو جزء منها ، ويعلم ماوقع قبل لحظة بداية القص وبعدها، كما يستطيع الإشارة إلى الحوادث اللاحقة دون الإخلال بمنطقية الأحداث ولا بمنطقية تسلسلها الزمنى.

---

(١) خطاب الحكاية ، جيرار جينيت ، ترجمة / محمد معتصم وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،١٩٩٧م ،صـ٧٧.

(٢) بنية الشكل الروائى ، حسن بحراوى ، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء ١٩٩٠م، صـ١٣٢.

وعلى أية حال فإن هذه الصورة التى رسمها (المازنى) للحوار الذى دار بينه وبين الشيخة (صباح) تفيض بالفكاهة والسخرية فى آن واحد ؛ لأنه يدرك تمام الإدراك إن للضحك أثرًا فعالاً فى التخلص من المتاعب والآلآم ، وتحقيق الراحة النفسية فكان يضحك من كل شئ ويعبث بكل شئ .

وعندما يعود البطل (الضحية) إلى منزله يدور بينه وبين زوجته وأبنائه حوار طويل يبدو من خلاله أن الزوجة متسلطة نوعًا ما ، وأن أبناءه مشاغبون لايكفون دائما عن افتعال الشغب البرئ ، ويظهر لنا صدق هذا الكلام من خلال قراءتنا الجادة للحوار .

" ولما صرنا إلى البيت وجلسنا إلى المائدة نتعشى قال أحد الشقيين ــ ولدى ولا فخر : " هل تعلمين ياماما أنك عدت أصبى وأجمل ؟ ومع ذلك لم تغيبى سوى أربعة أيام ، قلت : لاعجب ، فقد استراحت من وجع الرأس التى تورثانها ، فضحك الشقى الأكبر ، وعاد الأصغر يقول صحيح ياماما ــ رجعت بنت عشرية ، فقلت فى مثلك سنك وتنافق وتداهن وتتملق ، فكيف إذا دخلت مداخل الرجال ؟فألقت إلىَّ نظرة تنطوى على نذير أعرفه بالتجربة ، فإن لم أستدرك ليحيقن بى ماأكره من ائتمارها مع هذين اللعينين ، فقلت : وهل رأيتها أسنت وكبرت وشيخت حتى تقول إنها ارتدت بنت عشرين ؛ ومتى كانت إلا بنت عشرين أو أقل رفافة الحسن ،فبلعت ريقى وبلعت معه لقمة بلا مضغ " [١]

ثم ينتقل إلى حديثه عن خادمته ليخفف عن نفسه ماأثقلت عليه هذه الخادمة مصورًا سوء فهمها له ، مبررًا التناقض العجيب بين أفعالها وبين

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٩.

مايطلبه منها . فلا يمل أن يضع بين أيدينا أكثر من نموذج " وأطلب منها أن تجيئنى بشئ فتجيئنى بخلافه ولا تغلط مرة واحدة فتجئ بما أريد . ولـــيس فى لفظ الكبريت ولا حروفه مايمكن أن يلتبس بالجبن الرومى ، وهى ليست بالصماء ، فإن سمعها كسمع القطة ، وأنا خفيض الصوت ، ولكنى أتـــوخى معها أن أزعق وأصيح ، حتى ليبح صوتى ، ويوجعنى حلقـــى ، وأمـــرض يومًا أو يومين وتعمد إلى ملاءة سوداء تلفها على نفسها فإنها ــ حيية ــ وتخرج فتشترى لى جبنًا قد يكون روميًا غير مزيف أو مقلد ، ولكنـــه لـــم يخطر على بال ولا كانت لى رغبة فيه ، وأراها مقبلة تحمل علـــى كفيهـــا صينية عليها طبق فيه الجبن وشوكة وسكينة وفوطة ولقمة ، فإنها تـــدرك من تلقاء نفسها وبغير حاجة إلى تلقين أن الجبن الرومى لايؤكـــل وحـــده، فلابد من خبز معه ، ومادام سيدها سيأكل ، وقد اشتهت نفسه الجبن الرومى فهل تتركه يوسخ يده ؟." [١].

ومن الواضح أن النبرة الفكاهية الساخرة تتلبس كلام المازنى ، فهـــى نبرة لاتسيئ إلى أحد وإن أضحكت القارئ أو على الأقل ساهمت فى إضحاكه و التسرية عنه ، وربما كان ذلك من أهداف المازنى ، وقد كشف هو نفسه عن هذه النزعة فى جُلَّ كتاباته ومقالاته .

وعندما يدخل البطل غرفته ويغط فى نوم عميق يستيقظ فى مكان آخر ، وفى جسد آخر ، حيث يجد نفسه بين ليلة وضحاها ســـكنت جســـد طفـــل صغير لايعرف عنه شيئًا ولا عن أسرته أو البيت الذى يعيش فيه .

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـــ ١١.

ولكن مما أشعره فى العالم الثانى الذى انتقل إليه بألفة مقبولة هو وجود الأم التى هى زوجته فى الواقع ، والأم هى الشخصية الوحيدة التى يعرفها بالفعل ويشعر تجاهها بألفة وود مهما حدث بينهما من مشكلات .

ويبدو أن صورة الأم حاضرة ومهيمنه على تفكير البطل ، الذى يحس باستمرار أن وجوده مرهون بوجود أمه.

ومن خلال قراءتنا فى سيرة المازنى الذاتية نلحظ ميله الشديد إلى الأم ؛ حيث نجد أن البطل ترسم فى ذهنه صورة واحدة للمرأة ، وهى الأم لاغيرها ، لأنه لامجال لديه لإقامة علاقة مع امرأة أخرى ، وهذا الصدود عن المرأة صديقة كانت أم خليلة هو فى التحليل النفسى صدود عن الجنسية مادامت الأم امرأة ، وما دامت كل امرأة حاملة للجنس بحكم غريزتها النوعية ، فإن المرأة الوحيدة التى يمكن أن يحبها إبراهيم لابد أن تكون امرأة بلا جنس (١) .

ثم يحكى لنا البطل من خلال قصته أنه مع انتقاله إلى هذا العالم الجديد كان شغله الشاغل هو حب أمه وحنانها وطيبتها وخوفها عليه ، ولم يكن ينقصه إلا مايبتغيه البالغ من زوجته .

ويفهم من السياق أنه كان فى جسد الطفل ولكن بشخصية الرجل الناضج البالغ ، وكان يعى تماما أنه فى وضع غريب لايدرى ماحدث له أو مالذى أحاله إلى هذا الوضع ، وحينما حاول الاستيضاح من خادمته الجميلة أو مربيته الشابة بحسب الوضع الجديد شككت فى قواه العقلية ؛ لأنها تصر على كونه طفلاً صغيرًا .

---

(١) النقد العربى الحديث، عمر عيلان، الدار العربية للنشر، ناشرون، ط ٢٠١٠م، صـ١٥٥.

ثم تتوالى الأحداث ويكتشف الطفل بأن له عم ــ هــذا العــم ــ يريــد الزواج من أمه ، ولكن أنى له ذلك ، فالطفل يغار على أمه ويتعلــق بهــا ، وينظر إلى أى رجل آخر كمنافس له ، فالأم هى الشخصية الوحيــدة التــى ملأت حياته برمتها ، ومن هنا نلحظ الصلة الوطيدة بين هذا النص الروائى (عود على بدء) وبين السيرة الذاتية للكاتب ، الذى ينفى دائمًا وجود حــب أية امرأة فى حياته ، فقلبه لايكون إلا لامرأة واحدة . وهى أمه ، ومــع الأم (البطل) لايستطيع أن يتصرف كرجل ، وهذا يفسر لنا رغبة الطفل القوية فى البقاء فى مرحلة الطفولة التى لن تتحقق إلا بالحلم ــ هذا الحلــم ــ يمثــل الواقع المنشود الذى طالما تمناه ؛ ليحقق آمال وتطلعات يرتجى تحقيقهــا ، ولكنه لايستطيع أن يهنأ بروح الطفولة ولهوها ؛ إذ تلاحقه الهموم والقلــق على أسرته طيلة الوقت وما يكون قد آل إليه أمرهما بعــد . وأصــبح فــى صراع نفسى حاد بين إظهار رزانــة الكبــار ولهــو الأطفــال وانطلاقهــم ودعابتهم، يتمنى أن يعرف ماحدث ولا يجد إلى ذلك سبيلا .

ثم يصادف الطفل حياته الجديدة أشخاصًا جددًا ويتعرف علــى طفلــين صغيرين . من الواضح أنهما أبناؤه فى العالم الأول .

وتدور الرواية فى سياق كوميدى فكاهى خفيف حتى يستيقظ بعد حلــم طويل غيَّر فيه الكثير ، ويبدو من الخاتمة أنه أصبح يحب زوجتــه بصــدق وبات يتحمل ولديه المشاغبين ، واللذين لم يمل منهما فى يوم من الأيام .

السرد فى الرواية

تتميز تجربة المازنى الروائية بالتنوع والغنى ؛ فقد استطاع أن ينجز فى المجال السردى والروائى عددًا من الأعمال الروائية التى شكلت نموذجًا متميزًا فى تاريخ الرواية العربية بصفة عامة .

وما يلاحظ أن الملمح العام الذى يميز هذه التجربة الروائية هو تخطيها لأسلوب القص التقليدى الذى يقوم ببناء الأحداث وفق تسلسل منطقى متتابع ،وتقديم حكاية تجئ أحداثها متصاعدة لايخترقها عارض أو خلل ، فالحكاية فى كثير من رواياته تتنامى أحداثها على شكل تلقائى لتصل فى النهاية إلى خاتمة ليس من المهم دائمًا ألا تكون متوقعة " فقصصه فى الغالب لاتشغل كثيرًا بأمور الفكر ، أو نواحى الفلسفة بل تحرص على أن تتناول من الحياة جوانبها السهلة ــ أو على الأقل المعروفة للناس ــ وكذلك يبتعد عن الشذوذ أو الخروج عن المألوف بصورة لافتة ــ ومع ذلك فلا يمكن أن تقدم فى كل قصة فكرة طريفة ، أو نظرة صائبة ، أو رأيًا حكيمًا ، أو على الأقل صورة موحية ومعبرة فى الوقت نفسه " (١)

ومن الجدير بالذكر أن الرواية تسعى إلى كشف أزمة هذه الشخصية التى تعانى من خواء نفسى وروحى كبيرين على الرغم من كبر سنه ، الأمر الذى يدفعه إلى محاولة كسر رتابة هذه الحياة وتبديد هذه القيم عن طريق تقنية الحلم .

ويظهر هنا أن البطل هو نفسه الراوى ولا اسم له ، يقوم بممارسة الحكي من الداخل ، ويشارك فى بناء أحداث القصة ، وتطوير أفعالها ، إنه

---

(١) المازنى ساخر العصر الحديث ، صـ٧٧.

راوٍ حاضر يعرف أمورًا كثيرة ، مما تخول له التدخل والتحليل بشكل يجعله يوجه القصة كيفما يشاء وأراد ، مادامت أفعالهما تتعلق به وتعينه ويجـــرى حكيه بوساطة ضمير الأنا .

والأنا مرجعية داخلية بواسطته يكشف الراوى عـــن ذات الشخصـــية للقارئ ، وقد تأكد هذا منذ بداية القصة ، وقد استخدم ضمير المتكلم المفرد عن طريق الهمزة أو التاء ملحقًا بالأسماء والصفات والنعوت والحـــروف ، ويمكننا توضيح ذلك من خلال النماذج .

ظهور الأنا كضمير منفصل :ـــ

" إنى أغلط أحيانًا فأناديها وأطلب أن تجيئنى بشئ " (١)

" أنا خفيض الصوت " (٢)

" أنا أحصى هذه الألفاظ إيثارًا للراحة " (٣)

ظهوره عن طريق الهمزة وتاء المتكلم :

" ويكون مرادى السجائر " (٤)

" اتكأت على السرير " (٥)

" جلست على السرير وقلت لنفسى " (٦)

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـــ١١.
(٢) المصدر السابق ، صـــ.١١.
(٣) عود على بدء ، المازنى ، صـــ١١.
(٤) المصدر السابق ، صـــ١١.
(٥) عود على بدء ، المازنى ، صـــ١٦.
(٦) المصدر السابق ، صـــ١٧.

" وآه إذا مرضت ...تلازمنى " [١]

" وربما تعجبت وتساءلت " [٢]

" وقالت امرأتى تخاطب أصغر الشقيين " [٣]

بهذه الطريقة جاءت معظم الأحداث بصيغة الأنا ، وتسمى الرواية بضمير الأنا ، ويغلب على كل ضمير ، ولو أننا نجد أحيانًا أن ضمير المتكلم " أنا " يمتزج بضمير الجمع " نحن " ، ومثال ذلك :ـ

" فانفجرت وقد نفد صبرى ، وصحت ،كما تصيح أقول:إنى لست هذا الغلام الذى تسمونه "سونه" وما كنت أعرف أن هذا اسمه إلا بعد أن نادتنى به أمى "[٤]

" نهضنا عن المائدة بعد أن انتقل ماكان عليها ـ أو معظمه ـ إلى جوفه ، وآن لنا أن نتفرق لنستريح استعدادًا للمساء والحفل الذى سيكون فيه ، وكنت أتظاهر قبل ذلك بالفتور وثقل الجفون " [٥]

وهكذا تؤسس تأشيرة (نهضنا) الكلمة الثانية فى الجملة والمراد منها الجمع ميثاقًا تواصليًا يقوم على إلغاء الحدود والحواجز بين الأصوات والأطراف الفاعلة فى الخطاب.

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ١٢.
(٢) المصدر السابق ، صـ١٢
(٣) المصدر السابق ، صـ ١٢
(٤) المصدر السابق ، صـ٣٨.
(٥) المصدر السابق ، صـ٤٢.

والمعروف من السرد بضمير المتكلم أنه لايتيح الفرصة لتروى كى يدور حول الشئ الموصوف من جميع جوانبه ، بل يثبت العين الشاردة فى زاوية واحدة ذاتية ، وتجعلها ترى جانبًا واحدًا دون سواه وتنظر من منطق واحد محدود . يتخذ راوى القصة لنفسه موقعًا مميزًا ، وهو الشخصية البطلة التى تعرف ماتعرفه الشخصيات ، وما لاتعرفه ، وترى ماتراه ومالا تراه ، والمازنى الراوى والشخصية هو المتحدث الرسمى باسمها فلا يسمع إلا صوته ، ولا يرى الأشياء إلا من خلال وجهة نظره وإذا كان الشخصيات رأى إنما يعرف من خلاله ، وإذا تحدثت فهو الذى يعبر عن حديثها ، فيقول لنا ماقالت ، وماذا رأت ، وماذا سمعت ، وفيما فكرت وكيف تصرفت ، ويطلق النقاد على هذا الراوى اسم الراوى العليم وهو المسيطر على معظم القصص التقليدى ، ويمكن أن يعلل هذا الانتشار الواسع لهذا النوع من الرواة إلى أن القصص العربية الحديثة مازالت محتفظة ببقايا شفوية للإيهام بصدق الأحداث وواقعيتها .

المفارقة الدرامية فى الرواية

يقصد بالمفارقة الدرامية التفاوت بين التعبير والوعي ، فإذا كانت المفارقة اللفظية خاصة بعلاقة الكلمات بعضها البعض ، فإن المفارقة الدرامية خاصة بالمستمع أو الجمهور ، وهذا الأخير هو الذى يفهم السياق من خلال الأقوال والأفعال .

ويعالج الكاتب فى هذه القصة حالة الضحية الساذجة التى لاتعرف مايجرى حولها بأسلوب درامى برز فيه العنصر الكوميدى بأقصى حالة من التوتر نتيجة عدم إدراك الضحية للحقيقة فى إطارها العام مما جعلها تعيش

حالة من التناقض بين الواقع الحقيقى / مشاعر الرجل الناضج ، وما تعيش فيه الضحية من غفلة / مشاعر الطفل المراهق ، ولكل منهما حياته وخصوصياته ورغباته وطموحاته التى لايفهمها الآخر أو يصر على فهمها .

فقد كان التناقض والاختلاف واضحًا فى هذه الرواية بين ماكان يحلم به الضحية من رغبة فى العودة للطفولة والتحرر من أية قيود ، بينما الوقائع الخارجية والظروف المعيشية أجبرته على التعايش مع الواقع.

ولعل هذه المفارقة بين ماكان يحلم به وما يرغب فيه والواقع الذى يعيشه مؤثرة فى بنية حبكة الرواية . فالحلم من تقنيات المفارقة فى الإبداع، ونجد أن الروائى اعتمد كثيرًا على هذه التقنية التى تسمح له بالانتقال من زمان إلى زمان آخر ، إذ يساعد الحلم الروائى على قول مايريد فتحدث الأنا الداخلية ــ اللاشعور ــ معتمدا على الاسترجاع كتقنية مساعدة للعودة إلى الطفولة ، والطفولة تندثر وتنسى ولكن بالحلم يستعاد ما فقد وضاع ، إذ يختبئ الكاتب خلف لاواقعية الحلم . لمثل هذا فقد استحضر المازنى فى قصته عن طريق الحلم ماكان يطمح إليه ، وما يختلج فى داخله من أحداث ووقائع وذكريات تحقيقًا لرغبات مكبوتة وحاجات ملحة ، يقول غالب هلسا : " منذ صغرى والحلم يفتننى أصحو من الحلم وأبقى بعدها لساعة ، وأنا فى حالة شعور بأننى عشت ذلك الجمال فعلاً ، من النادر أن يعطى الواقع هذا الشعور من هنا هذا " الالتصاق الوثيق بالحلم ، ففيه عودة إلى عالم الطفولة ، إلى حيث العالم ملتبس والأشياء تحدث فيه بطريقة فهم الطفل لها ، وهذه معطيات تشكل الفانتازيا " [١]

---

(١) السرد المزور ، قنديل خليل ، صحيفة الدستور ، الملحق الثقافى ، ٢٠٠٩/١٠/٣٠م.

من الواضح أن الأحلام تمتلك بنية واضحة ، محددة الهدف تدل على فكرة ، ولذلك يتم التداخل مابين السرد والحلم ، وظفه الروائيون فى أعمالهم الروائية ، ولا غنى لبعضهما عن بعض ، وليست الأحلام التى يوظفها الروائيون فى أعمالهم إلا نوعًا من الأنواع السردية ، فكل حكاية وراءها حلم هى سرده.

لذا فقد رأى المازنى أن الحلم فى هذه الرواية ضرورة للاستمرار، فهو بمثابة تعويض عن الواقع المرير الذى يعيشه ، إضافة إلى أنها عالم يمكن أن يسمح له بتحقيق أفكاره التى منعته الظروف من تجسيدها .

ثم يعمد المازنى إلى إيراد عدد من المفارقات الدرامية فى أسلوب سهل وعبارات سلسة شيقة يبدو من خلالها البطل ساذجًا منبهرًا لايعرف حقيقة مايجرى حوله ، فهو يندفع نحوأمه ظانًا منه أنها زوجته ، ويرى خادمته الجميلة فيعتقد أنها العجوز قد صغرت مثله ، ويتصرف معها وفق جهله وغفلته ، فى حين أن القارئ على وعى تام بحالة الضحية وسذاجتها .

وتتصاعد الأحداث الدرامية بتوالى المفارقات التى تعبر عن مظاهر السذاجة فى شخصية الضحية وجهله بكثير من الأمور الطارئة عليه ، فيفاجأ بأن له عم يرغب فى الزواج من أمه ، هذا العم ظهر كالجنى الذى شق الأرض وخرج من جوفها .

ومن أساليب المفارقة الدرامية فى الرواية يتضح لنا أسلوب الحوار ، فحركة الأشخاص وتحاورهم داخليًا وخارجيًا يؤدى بالقارئ إلى تخيل مشاهد متنوعة مليئة بالمتناقضات والصراعات ، وتفتح المجال له باستنباط دلالات وإيماءات توحى بمكنونات الكاتب القصصية ، وذلك يتضح فى قوله :

" وأقبلت الخادمة ــ أعنى الفتاة المليحة ــ مرة أخرى ، فسألتها "فى أى يوم نحن ؟ " فابتسمت وهزت سبابتها فى وجهى وقالت : " تتبالـه ؟ يامكار " فحدثت نفسى أنى لن أهتدى إلى شئ فى هذه الحياة الجديدة إذا ظل كل من ألقى يفترض أنى أعرف ما أجهل . وقلت استدرجها " إنما أريد أن استوثق "

قالت :" لامحل للشك .هو اليوم العظيم ولا كلام "

قلت :" بل شكى عظيم ، ويخيل إلى أن هناك خطأ كبيرًا "

قالت :" وهزت رأسها :" آه فهمت ، ولك العذر إذا اختلج فى نفسك شك ، فإنك مازلت صغيرًا وصحيح أن اليوم قد يختلف فيكون السبت مرة ، والجمعة مرة ، ولكن التاريخ ثابت وهو الذى عليه المعول " .

فقلت لنفسى " هذه فرصة لأغتنمها ..."[١]

يتجلى فى هذا النص أسلوب السرد القصصى والحوارى معًا ، فقد دمج الكاتب فقرته بين ماهو سردى قصصى وبين أسلوبه الحوارى الدرامى بشقيه (المونولوج ، الديالوج) موظفًا شخصيتين تمثلت بأنا الكاتب على لسان الضحية ، والآخر الخادمة لتظهر لنا مفارقة دراميـة متباينة بين موقفين متناقضين .

كما أن هذه الفقرة يعى فيها الكاتب مدى حضور تلك الأصوات فى واقعه وفى لاشعوره ، ويندفع القارئ بذلك إلى مشاركته فى مخاطبتها .

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ٢٢.

أما عن الصراع فكان له حضورآخر فى إنشاء مفارقات دراميــة فــى الرواية ، منه قول البطل : " وعدت أتساءل : أهذا حلم أم أنا أرى حقًــا ؟ فإذا كان حلمًا فلعلنى إذا تحركت أن استيقظ ــ وأغمضت عينــى وجعلــت أدفع يدى ورجلى وأضرب بهما الهواء وأتقلب بعنف ، ثــم فتحــت عينــى وأجلتها فيما حولى وأنا أتوقع أن أرى غرفتى القديمة التى أسرى بى منها ، ولكنى على الرغم من الظلام لم أر أنى قد عدت إليها ، فهبط قلبــى وكــاد اليأس يخامرنى من النجاة أو الأوبة إلى ماخلقت " [١]

نحن هنا أمام سردية مفتوحة على عدة تأويلات لعبت فيهــا الدهشــة والمفارقة والمفاجأة ومباغتة القارئ دورًا كبيرًا فى جذب الانتبــاه وجعــل المتلقى يعيد القراءة عدة مرات لكى يخرج فى كــل مــرة بنتيجــة جديــدة وتفسيرات مختلفة تصب كلها فى نطاق واحد ألا وهى أن الحلــم بالنســبة للبطل يعد المعادل الموضوعى للخروج من عالم الواقــع (الــوعى) بكــل مايحويه من متاعب وآلام إلى عالم الأحــلام (اللاوعــى) حيــث الراحــة والطمأنينة .

وقد ظهرت المفارقة الدرامية فى الروايــة ــ أيضــا ــ مــن خــلال استدعاء الألفاظ والتناقضات ، وتوظيفها ضــمن سلاســل ســاخرة هازئــة يسقطها الكاتب على ضحاياه فى كثير من الأحيان ، من ذلك قول البطل عن خادمته " فلاسبيل إلى بيع هذه الخادمة أو رهنهــا أو وهبهــا . ثــم إنهــا لاتساوى ملء أذنها نخالة ، ومن المستحيل تبديدها ؟ لأنها هائلــة الأنحــاء جدًا ، والعمر ــ كل العمر ــ أقصر من أن يتسع لهذا الجهد ، وعسير جــدًا

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٦٥.

إضاعتها ؛ لأنها تعرف الطريق إلى البيت .ولعله كل ماتعرفه. وقد خطر لى أن أتخلص منها ، كما تتخلص الناس من قطة مزعجة لم يبق فيها خير ، فيضعونها فى غرارة ويحملونها إلى مكان سحيق ، وهناك يطلقونها أو يدلقونها ، فتضل الطريق ولا تعود ، ولن أين الغرارة التى تسعها ــ أعنى الخادمة ــ وأين الكتف التى تقوى على حملها ؟فهى قعيدة البيت ولا حيلة لى فى ذلك . "[١]

مامن شك فى أن لهذه الصورة الفنية الساخرة السابقة قيمةً وهدفًا ، فلم تكن حشوًا ولا هزلاً خالصًا بل كانت تساعد على تجديد النشاط وتوليد الشعور السليم ، وإزالة الانقباض وتجديد الراحة ، وتزيل التوتر ، وتشرح الصدور ، ومتنفسًا يبث من خلالها الكاتب خواطره .

وبأسلوب آخر تظهر لنا المفارقة الدرامية عندما تحقق الدهشة والاستغراب لدى القارئ الذى يتفاجأ بتوقعات معاكسة لما كان ينتظر أن يسمعه من لدن الكاتب كما سيتضح فيما بعد .

يمكننا أن نخلص إلى أن المفارقة الدرامية تحركت فوق كل خيوط النص ؛ لتخلق جوا من التناقض سواء بعنصر الزمن أو الصراع أو الحوار، أو كسر أفق التوقع لتجعل من الرواية دراما بحد ذاتها .

---

(١) عود على بدء ، صـ١٠.

المبحث الثانى

تقنيات المفارقة الدرامية

مفارقة الشخصية

تعد الشخصية ركنًا مهما من أركان العمل السردى ، تتجلى عبر أفعالها الأحداث وتتضح الأفكار ، وتتخلق من خلال شبكة علاقاتها حياة خاصة تكون مادة هذا العمل .

وتقوم مفارقة بناء الشخصيات على التنافر والتناقض داخل العمل الروائى ، إذ يلاحظ القارئ أن الشخصية تسير مسارًا معينًا ثم بعدها يحدث التنافر فى بناء تلك الشخصية حين تتخذ مسارًا آخر يكون مغايرًا أو مألوفًا أو متناقضًا مع ماقامت به ، وبذلك تتولد المفارقة .

ويعطى المازنى فى روايته " عود على بدء " شخصية ضحية المفارقة صورتين الأولى صورة ضحية لاتعلم بوضعها أنها ضحية ، وصورة شخصية تعلم أنها كذلك ، وإن كانت قد اكتشفته مؤخرًا .

ومن أبرز مفارقات النوع الأول ماأورده المازنى فى روايته وتسير إلى جهل الشخصية وغفلتها بما يدور حولها تلك المفارقة الشاسعة بين الماضى والحاضر فى نفس البطل ، يقول المازنى : " أين ذهب الجسم الذى كنت فيه؟ وكيف دسست فى هذا الإهاب الجديد ؟ واشتقت أن أسمع صوتى فرحت أتكلم بصوت خفيض مخافة أن يدخل علىَّ داخل فيستقل عقلى ، واشتهيت أن أرى وجهى وصورتى فى مرآة ، فإنى أرى معظم بدنى ، ولا أرى وجهى وطولى وعرضى ، ولكنى خفت أن يباغتنى أحد وأنا أتأمل نفسى فى المرآة، وأدور أمامها ....، واستثقلت هذا الحلم ، وضاق صدرى بالتحول الذى

تحولته فيه ، وإذا طال الحلم فستتراخى السنون وتتعاقب قبل أن أبلغ مبالغ الرجال مرة أخرى ، ثم ضحكت ، فإن الأحلام تبدو لرائيها كالدهر طولا فيما يحس... " (١)

يشير النص السابق إلى اختلاط الأزمنة على الضحية بين الواقع والحلم ، ولعلها إشارة هادفة تنبئ عن ارتباط التاريخ فى نفس الإنسان بقضية مهمة فى حياته ، وهى قضية الجذر والأصل ، وهى إشكالية مستمرةالحضور فى الزمنين الماضى والحاضر مهما تعانق الإنسان مع حاضره وغرق فى ظلاله .

ويجئ الحلم فى الرواية وسيلة للكشف عن العالم الداخلى المعقد لشخص المازنى المأزوم ، فهو يعبر فى هذا الحلم عما يخفيه ويعانيه فى عقله الباطن من طموحات وآلام واحتياجات أو توقعات لغرض التكيف والتصالح فى حياته الحضارية إما عبر تحقيق التوازن مع ذاته وأسرته أو تحقيقه بين ماضيه وحاضره .

ومن المفارقات الدرامية ــ أيضا ــ التى تعبر عن مظاهر الغفلة والسذاجة فى شخصية الضحية وجهلها بكثير من الأمور الطارئة قول المازنى :" وأنسيت أنى قد صرت هذا الذى لاأعرف من هو ، فأخذت عينى سيدة كدت أهجم عليها حين وقع عليها بصرى ، فقد كانت هى زوجتى بعينها ، ولكن شيئًا فى جلستها ، وهيئتها وثيابها ، ردنى وكبحنى عن الاندفاع ، فقد كانت إحدى ساقيها ملتفة بالأخرى ، ولا أعرف زوجتى تفعل

(١) سرد الأمثال . دراسة فى البنية السردية لكتب الأمثال العربية ، لؤى حمزة عباس ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط(١) ٢٠٠٣مـ ، صـ ١٢٩.

ذلك ، وكانت فى حجرها كرة من الخيط ، وفى يدها مسلتان تنسج بهما الخيط مداولة على مقدار ، وامرأتى لاترى أن تشتغل بهذا عن معابثتى ..."[١]

يندفع البطل الضحية هنا نحو الأم ظانًا منه أنها زوجته مع معرفة الجمهور بحقيقة الوضع من حيث هى لاتعلم ، وهنا تتجسد المفارقة الدرامية، كما أن التناقض الواقع بين الصورتين صورة الأم / الماضى وصورة الزوجة التى تمثل الحاضر المبهم قد ولد نوع آخر من المفارقة يسمى بالمفارقة التصويرية ، التى تقوم عادة على مصادر ثلاثة :الطبيعة التى تمد الكاتب بمكونات الصورة ، والتراث الذى يمنحه الخبرة فى تشكيلها أو إقامة مقابلة بين الماضى والحاضر ، وأخيرًا الخيال الذى ينبثق من أرضية خاصة بنفسية الكاتب هى عاطفته ، ومن ثمة فهى تقنية أو أسلوب عرفها على عشرى زايد أنها " تكنيك فنى يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض "[٢]

وتعد المفارقة التصويرية بمثابة الكاشف الفنى عن التوتر النفسى وحدته التى تعصف الذات ، وتبدد استقرار النفس ، وتُشنج فيها المشاعر والأحاسيس إلى درجة إثارة الغضب .

وتقوم المفارقة التصويرية فى رواية (عود على بدء) على إبراز التناقض والتوتر بين المفردات التى تشكلها ، فهى غالبًا ماتكون متنافرة

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ١٧،صـ١٨.

(٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، على عشرى زايد ، مكتبة الأداب ، ط(٥) ، القاهرة ٢٠٠٨مـ ، صـ ١٣٠.

لارابط بينها على المستوى السطحى بينما تكون دلالاتها مترابطة ومتتابعة على المستوى الخفى الذى يستدعى المتلقى للتأمل والتدبر .

يمثل الماضى فى النص السابق صورة الأم ، وتمثل الأم عادة رؤية حميمية وتاريخية للذاكرة والحلم ...تذهب بالتعبير أقصى درجات العاطفية والوجدانية [١] ، فهى فردوس الشخصية وملجأها التى تشعر فيه بالأمان والاستقرار ، أما الحاضر فيمثل زحزحة لذلك الأمان بما يتسم به من هموم وآلام ومتاعب ، فالصورة الأولى / الماضى تتناقض تماما مع الصورة الثانية / الحاضر مما أدى إلى تكوين المفارقة التصويرية .

وقد تقع الشخصية أحيانًا ضحية خوفها وتصنعها ، يقول المازنى : " ولما صرنا فى البيت ، وجلسنا إلى المائدة نتعشى ، قال أحد الشقيين ــ ولدىّ ولا فخر:" هل تعلمين ياماما أنك عدت أصبى وأجمل ؟ ومع ذلك لم تغيبى سوى أربعة أيام ، قلت : لاعجب ، فقد استراحت من وجع الرأس الذى تورثانها . فضحك الشقى الأكبر ، وعاد الأصغر يقول :" صحيح ياماما ــ رجعت بنت عشرين . فقلت فى مثل سنك وتنافق ، وتداهن ، وتتملق ، فكيف إذا دخلت مداخل الرجال ؟ فألقت إلىّ نظرة تنطوى على نذير أعرفه بالتجربة ، فلئن لم أستدرك ليحيقن بى ماأكره من ائتمارها مع هذين اللعينين ، فقلت : " وهل رأيتها أسنت وكبرت ، وشابت ، وشيخت حتى تقول إنها ارتدت بنت عشرين ؟ ومتى كانت إلا بنت عشرين أو أقل ...رفافة الحسن ... ، فبلعت ريقى ، وبلعت معه لقمة بلا مضغ " [٢]

---

(١) سحر النص (من أجنحة الشعر إلى أفق السرد) ، د/ محمد صابر عبيد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨مـ ، ص٩٩.

(٢) عود على بدء ، المازنى ، صـ٩.

يتضح أن الأب والأبناء فى النص السابق يقعون تحت وطأة الكذب والغش والزيف ، وأنهم يلجأون إلى الكذب مدفوعين نحو تغطية معينة ، فالأولاد يكذبون لكسب حب الأم ورضاها ، ومودتها ليس أمام الأب بل أمام النص نفسه ، والأب يحاول تثبيت نفسه باعتباره مخلصًا أكثر من العادة ، النص نفسه يكذب فى سبيل أن يقدم واقع الأسرة المشوه القائم على الخداع، وليس الخداع هنا واقعًا على الأم وحدها بل على كل أفراد الأسرة ، فالنص إذًا يتستر على مفارقة أكبر من الكذب لينبه المتلقى إلى ضرورة التحلى بأقصى درجات التيقظ والفطنة فى مثل هذا الموقف .

وإذا كانت المفارقة اللفظية تعتمد على معرفة مقصد المتكلم ونيته الساخرة ؛ التى هى قسمة بين المتكلم وسامعه ، فإن المفارقة البنائية تعتمد على معرفة مقصد المؤلف الساخر الذى هو من نصيب المستمع ، ولكنه مجهول عند المتكلم ، وتعتمد هذه المفارقة على أداة أساسية ، وهى " اختلاق البطل الساذج أو على الأُقل الراوى أو المتحدث الساذج الذى يتخفى وراء المؤلف بوجهة نظره ، وهى تعتمد على مقصد المؤلف الساخر الذى هو من نصيب المجتمع ، ولكنه مجهول عند المتكلم " (١)

وكيفما كان الأمر فإن وظيفة المفارقة البنائية هى تدعيم بنية الدلالة فى النص وتأكيدها ، ومن أجل ذلك عرفت بالمفارقة الداعمة .

ومن الواضح أن هذا اللون من المفارقة يحقق أكثر من غاية فنية دفعة واحدة ، كى تكتشف قدرة المتلقى على كشف النص وثنائيته ، وتصعد من درجة إقحامه فى المستوى العميق للنص ، وتوصله إلى أقصى درجات المتابعة عبر التهكم أو السخرية أو التوبيخ .

---

(١) المفارقة القرآنية ، د/ محمد العبد ، صـ١٠٣.

ولا جدال فى أن المازنى فى هذه الرواية كان حريصًا كل الحرص ألا يكتفى بالرصد وألا تكون انعكاسًا مرأويًا للواقع ؛ لذلك اتكأت روايته على المفارقة اللفظية خاصة السخرية المبطنة والاستخفاف الذكى الحاد والأشخاص كأداة للتعويض عنده ، كى تسهم فى تثبيت النص أكثر من المستويات الفنية التى تحث المتلقى على قراءة النص أكثر من مرة ، والوقوف على كل صغيرة وكبيرة فيه .

يقوم المازنى عادة بتقديم فقرة أو مقطوعة فى بنية نصية أو حوارية تهدف إلى السخرية من الطرف الآخر فى تقنية تقوم على حشو هذه الفقرة بألفاظ تظهر فى مستواها السطحى عكس ماتبطنه فى مستواها العمودى .

ومن الواضح أن هذا اللون من المفارقة يقدم رسالة يشترك فيها ثلاثة عناصر : المستهزئ (المخادع) ، والمستهزأ به (المخدوع) ، والمتلقى .

ومن اللافت للانتباه أن المستهزئ هو الشخص الأُقدر على هذه المفارقة، فى حين أن المستهزأ به يقف غالبًا عند المستوى السطحى، أما العنصر الثالث (المتلقى) يجد نفسه فى أحد الموقفين المستهزئ والمستهزأ به .

وقد تكون مفارقة السخرية سهلة الانكشاف واضحة ، بحيث تظهر قريبة التوبيخ والتهكم ، يقول الراوى على لسان البطل متحدثًا عن خادمته:ــ"

هى خادمة فلكية تغنينى عن مرصد ، فترينى النجوم ظهرًا فى الظهر الحمر ، ورثتها عن أمى ــ لأنها ــ أى الخادمة ــ آنقذتها من بين أخفاف الإبل فى طريق " منى " قبل عهد السيارات ، وكانت أمى ــ رحمها الله ــ قد

استصحبتها فى حجها الأول لتقوم على خدمتها ، ولعلها آنست منها القدرة على الشيل والحط . وكانت ــ أى أمى ــ وهنانة لاعهد لها بالجمال ولا قدرة على احتمال المخض من سيرها فدار رأسها فتدحرجت وهوت على الأرض . فلولا أن نطت الخادمة ورفعتها لقضى عليها فحفظت لها هذا الجميل ، وأبت أن تسرحها بعد ذلك ، وأوصتنى بها خيرًا وهكذا ورثتها عنها ...والإرث يباع ، أو يرهن ،أو يوهب ، أو يبدد ولكن الدول كما تعلم آجمعت ــ لمكيدتى ــ على تحريم الرق . فلا سبيل إلى بيع هذه الخادمة أو رهنها أو وهبها ، ثم إنها لاتساوى ملء أذنها نخالة . ومن المستحيل تبديدها لأنها هائلة الأنحاء جدًا "[١]

ويتابع المازنى حديثه عن الخادمة قائلاً:"وقد ظهر لى أن أتخلص منها .كما تتخلص الناس من قطة مزعجة لم يبق فيها خير ، فيضعونها فى غرارة ، ويحملونها إلى مكان سحيق وهناك يطلقونها أو يدلقونها . فتضل الطريق ولا تعود . ولكن أين الغرارة التى تسعها ــ أعنى الخادمة ــ وأين الكتف التى تقوى على حملها ؟ فهى قعيدة البيت ولا حيلة لى فى ذلك " [٢].

يعبق النص السابق من أوله إلى آخره بالمفارقة اللفظية الساخرة التى تبطن فى مستواها العميق مدلولا مغايرًا مناقضًا ، بهدف توبيخ وتسفيه الشخصية المتهكم بها وهى شخصية الخادمة ، فما يحدث للبطل ــ صانع المفارقة ــ من خادمته وما يعانيه من عطفها المفرط وحبها الشديد له واهتمامها به يعبر عنه بالمزاح والطرافة ، وهذا جعل النص يتخذ بعدً دلاليًا ساخرًا .

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ١٠ــ١١.

(٢) المصدر السابق ، الصفحات نفسها.

وقد تخلق المفارقة اللفظية الساخرة ظلالاًدلالية تحتاج إلى مزيد من التأنى والدقة ؛ لتثير فينا اكتشاف رغبة المفارقة فى التذكير بمفارقة الواقع نفسها ، فثمة ظاهر القصد فى مقابل الرغبة المكبوتة وراءه ، وثمة التحلي ظاهريًا بالأخلاق والقيم، والتستر داخليًا على النقيض ، على اعتبار أن الحياة نفسها حافلة بالنقائض ، من ذلك النوع ماورد على لسان البطل : "وأخيرًا جاء العم ، وتلقيت قبلاته ، وقاك الله السوء !وهو شئ كل مافيه ثقيل ، تنفسه حشرجة ، وصوته ضوضأة ، وضحكه قرقعة ، وقبلته كمص الماء من كوزنصفان ، وكرشه برج دبابة ، وشعرات شاربيه فتلات حبل مقروضة ، وعينه ــ والعياذ بالله ــ شعر متفتل ، وجفن محمرٌّ لاهدب له ، وماء يسيل ، وحاجباه شعرهما رقيق من أخر وكثيف من قُدُم ، وأذنه مسترخيه من رأسها ومنكسرة على وجهها ..."(١)

ولعل الجملة الأولى والثانية إن لم نتابع مايجئ بعدها نقع فى تعبير مقصود فعلاً ضمن مستوييه السطحى والعميق ، إذ قد يتوهم أن مجئ العم بعد طول انتظار إشارة إلى حبه وشغفه برؤيته ، وعليه يكون تعبير (جاء العم ، وتلقيت قبلاته) متلائمًا مع حالة التوهم ، لكن قوله " وقاك الله السوء " يزيل هذا التوهم ، ويكون المقصود خلاف الظاهر ، فالمقصود إذن "جاءت المصيبة ".

ومن هنا تصبح المفارقة (البنائية ــ اللفظية ــ الساخرة) أداة لتوكيد ظهور المعنى بوجهين مختلفين ، أي لعرض مستوى من مستويات المعنى

(١) عود على بدء، المازنى ، صـ٣١.

الظاهر بغية الوصول إلى مستوى آخر هو المعنى الباطن الذى ترمي إليه البنية الدلالية العميقة للفظ أو العبارة .

شخصية المراوغ :

مدعي الغفلة تتحدث دائمًا بثقة تامة ، كأنه لم يخامرها الشك يوما ما فيما تقوله ، وكأنه ليس لديها أى مخاوف من عدم تصديقنا لها " إن هذه النبرة الخادعة التى بها مسحة من الصدق مع اختلافها عن الوضع الحقيقى، هو مايخلق المفارقة ، وهو أيضا مانجده بتعديل طفيف فى شخصية المتواضع الزائف ، حيث إن ادعاء الغفلة والزيف يعدان بمثابة قناعين يرتديهما المراوغ (صاحب المفارقة) طبقًا لما يتطلبه موقفه المراوغ "[١]

يقول المازنى على لسان البطل عندما أراد إخبار خادمته بالسر الذى يضمره " فنازعتني نفسي أن أبيحها إياه ، وأن أقول بشجو ، وأطرح عن صدري هذا العبء الثقيل وأشركها فى أمري ، لعلها تستطيع ، ولكني وأنا خليق أن أستريح بعد البث ، ولكني كنت أشفق أن تظن بي الخبل ، أو تعد الأمر كله هذيان غلام يجمع بين خياله الطائش ، فقلت " أخطو بحذر وسألتها : هل تصدقين أنى لاأعرف من أنت ولا ماسمك لأنى مارأيتك إلا هذا اليوم ؟."[٢]

شخصية الطفل فى المثال السابق (محور الأحداث) ، وهي شخصية مراوغة بامتياز ، تمارس على ضحيتها ــ الخادمة الشابة ــ تواضعها

---

(١) المفارقة فى النص الروائى .(نجيب محفوظ نموذجًا) ، حسن حماد ،المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط(١) ٢٠٠٥مـ ، صـ ١٨٨،صـ١٨٩.

(٢) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٣٨.

الزائف باستدراجها إلى ماترغب فى توصيله لها ، حتى يصل إلى الغاية المرجوة ، وتبدأ مراوغته ومخادعتها بطلبه الاستماع إليه وهو يحكى أسراره الدفينة ومكنوناته الخبيئة .

وبمهارة فائقة تستطيع شخصية المراوغ تحقيق غايتها بطرق ملتوية، وتستجيب الضحية لفخ صاحب المفارقة بسؤالها : " إيه لاتعرفنى ؟ لم ترنى من قبل ؟ ماذا أصابك اليوم ؟ إنك من أول النهار حالك حال لم أعهده منك ؟ فماذا جرى لك ؟ قل لى ..."[١]

تجد الخادمة نفسها فى حيرة من أمر هذا الطفل فكيف يجهلها وكيف لم يرها من قبل ؟ ومالذى أصابه ؟ ولماذا يحاول خداعها أسئلة كثيرة تسألها الخادمة (الضحية) نتيجة وقوعها تحت وطأة المراوغة إذ تسقط الضحية على الأرض مغشيًا عليها : لم تقل شيئًا ، ولم تصرخ ، بل هوت كما يهوى الثوب الفارغ فاضطربت وتلفت وأشفقت أن استنجد بأحد فتحدثهم بما سمعت ، فيحملونى إلى مستشفى العقلية ، ولمحت زجاجة كولونيا فخطفتها وصببت منها على وجهها ، وعلى كفى وأنشقتها ... وقالت وهى تفرك عينيها " ياله من حلم " وتنبهت إلى وجودى ، فسألتنى " ياسونة ماذا جرى لى ؟ قلت : لاشئ . رأيتك تترنحين كالسكرى ثم تسقطين "[٢]

وقد تقع شخصية المراوغ ــ أحيانا ــ ضحية لاعتقادها الراسخ عن نفسها بالذكاء والدهاء كما فى قول المازنى على لسان الضحية : " ألا تنوب عنى هذه الفتاة الكريمة فى أداء هذا الواجب ؟ وماذا يكون حكم الله إذا

---

(١) عود على بدء، المازنى ، صـ٣٨.

(٢) المصدر السابق ، صـ ٣٨.

ذعرت مرة أخرى وأغمى عليها ، لابأس من التجربة على كل حال ولنمض على حذر . والله المعين . وسألتها أليس هنا تليفون ؟ فكأنما لطمتها على وجهها ...قلت حلمك ... كل ماأريد منك ويطمعنى فيه حبك لى هو أن تذهبى أنت إلى التليفون فى غفلة من الرقباء وتطلبى رقمًا سأكتبه لك وتقولى لزوجتى أو أحدولدى أو الحاجة أنى ..ولم أتمها ، فقد راحت تنفخ نفخًا...، ثم التفتت إلىَّ والعبرات ترفض على خديها ، وقالت: " ألا ترحم ضعفى ألا يعطفك على أنى محتاجة إلى عمل هنا ؟هل تريد أن أخرج من البيت ...فكاد قلبى ينفطر وأقبلت عليها أدعوها إلى السكينة وألاطفها ، وأقسم لها أنى لن أعود إلى ماتكره منى "[١]

تعتقد الشخصية اعتقادًا راسخًا بقوتها وتميزها ، إلا أنها فى النهاية تتحول من شخصية مراوغة إلى ضحية للمفارقة التى تتسبب هى نفسها فى خلقها ، فعلى الرغم من اعتقاد المراوغ بانطلاء حيلته على الخادمة (المتلقية) إلا أنه ينكشف بصورة فجة ويتضح سلوكه المفارق.

---

(١) عود على بدء، المازنى ، صـ ٤٥.

كسر أفق التوقع (المسافة الجمالية)

يرتبط مفهوم المسافة الجمالية ارتباطًا وثيقًا بمفهوم أفق الانتظار ، إذ يتشكل هذا المفهوم من التغير الذى يحدث فى أفق انتظار القارئ أو مايسمى بكسر أفق التوقع ، حيث يخيب ظن المتلقى فى مطابقة معاييره السابقة مع المعايير التى ينطوى عليها العمل الجديد [١].

ويطلق (ياوس) على المسافة الموجودة بين أفق التوقع الموجود سلفًا وبين العمل الجديد الذى يحدث تلقيه تغيرا فى الأفق بالانزياح الجمالى .ومن ثمة فهو يربط القيمة الجمالية للعمل الأدبى بدرجة انزياحه الجمالى عن أفق الانتظار المعهود ، أى بمدى تعطيله للتجربة السابقة وتجاوزه لها.[٢] وبعبارة أخرى ، فإن القيمة الجمالية للعمل الأدبى تكون أكبر كلما كان تغيير الأفق السائد ضرورة ملحة يتطلبها استقبال هذا العمل وفهمه.[٣]، وعلى العكس من ذلك ، فكلما تضاءلت هذه المسافة الجمالية اقترب العمل الأدبى من ميدان الفن البسيط .

وتشتغل المفارقة الدرامية على كسر أفق التوقع لدى المتلقى الذى يفضل دائما أن يسبق الأحداث ؛ ليتنبأ بنهايتها ، وتصاعد المفارقة بمقدار مايتمكن صانعها من كسر أفق انتظار المتلقى .

---

(١) ينظر : نظرية التلقى أصول ... وتطبيقات ، بشرى موسى صالح ، الدار البيضاء ، المغرب ط(١) ٢٠٠١م ، صـ٤٧.

(٢) جمالية التلقى (من أجل تأويل جديد للنص الأدبى) ، هانز روبرت ياوس ، رشيد بنحدو ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ط١، ٢٠٠٣مـ ، صـ٤٧.

(٣) من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة .دراسة تحليلية نقدية فى النظريات الغربية الحديثة ، عبد الكريم شرفى ، منشورات الاختلاف ، ط(١) الجزائر ،صـ١٦٦.

وتعد القدرة على كسر المألوف والسائد وتفكيكه وإعادة تشكيله وهيكلته وفق رؤية جديدة أبرز مايميز القاص (المبدع) عن غيره من الكتاب الروائيين ، وحاول القاص فى هذه الرواية التخلص من القوالب التقليدية للقصة التى سادت سابقًا ، وتعددت الأساليب الفنية والسردية ، واستخدم فى سردة تقنية الاسترجاع (الحلم) من خلال كسر زمن القص وانفتاحه على زمن ماض له ، أو ماض بعيد جدًا ، فيحقق بذلك التداخل بين الأزمنة .

فالانحراف الذى حدث للبطل فجأة يشكل مفاجأة عظيمة للقارئ الذى كان ينتظر من الرجل الاستمرار فى سرد الأحداث متجهًا بها نحو الأمام ، ولا يهتم بمرور الزمن بناء على مامهدت له القص من أحداث ، لكن ماحدث يغاير تماما توقعاتها ، فبعد أن ترك أولاده منطلقًا نحو غرفته للراحة والنوم يستيقظ على مفاجأة وأمر غير متوقع .

وقد يصطدم المتلقى أثناء قراءته للرواية وهو يتابع الجمل التى يتلقاها بعناصر غير متوقعة ويرسم حدود المتوقع وغير المتوقع من خلال معرفته وخبرته ، ولكن الذى يثيره هو أن يتصادم مع تركيب أو عبارة أو فكرة أو فضاء نصى لايتطابق مع معرفته الأولية " ولذلك فإن هناك مثيرات يتعرض لها وعى القارئ ، وهذه المثيرات هى التى تستطيع أن تفتح أمامه آفاقًا للتفسير "[١]

(١) جماليات الأسلوب والتلقى .دراسات تطبيقية ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، ط(١) ، ٢٠٠٨مـ ، صـ ١٠٢.

يقول المازنى على لسان البطل :" فقلت فى نفسى : إنى لأستغرب أن يحيق بى هذا فى يوم الجمعة ، فالآن آمنت بزعم العامة أن فى يوم الجمعة ساعة منحوسة " تعمل المفارقة الدرامية على كسر أفق توقع المتلقى ، الذى يفضل دائمًا أن يسبق الأحداث ؛ ليتنبأ بنهايتها ، وتصَّاعد المفارقة بنقدار مايتمكن صانعها من كسر أفق انتظار المتلقى .

ويخالف المازنى فى النص السابق المرجعية الدينية فى استخدام لفظة (منحوسة) رمز الشؤم والخراب ،مقرونًا بـ(يوم الجمعة) بديلاً عن لفظة (إجابة) ؛ لتكون الصورة أكثر إيماءًا وتركيزًا وكثافة مما يسهم بدوره فى تصعيد المفارقة وإثارة المتلقى للبحث عن العلاقة المضمرة بين الألفاظ ، فقد كشف السياق أن يوم الجمعة بالنسبة إليه رمز الشؤم والنحس ، فالكاتب يبطن السخرية من وضعه الراهن حين بات رجوعه وعودته إلى حقيقته أمرًا مستحيلاً غير محقق على أرض الواقع .

وبالتالى قام بانتقاء الألفاظ التى تدل على تلك النظرة التشاؤمية (السوداوية) ، فهو يصطدم المتلقى بنقيض ماهو متعارف عليه فى الدين الإسلامى ؛ ليشاركه فى إقامة دلالة جديدة تبين حدة وقسوة هذا اليوم (يوم الجمعة) الذى يخيم على الكاتب ، فقد زعزع أمنه وقلب موازينه ، فلم يعد قادرًا على معرفة حقيقته ، فالعلاقة المتوترة بين الألفاظ على المستوى السطحى لنص تظهر معاناة الذات (الضحية) وما تعيشه من مأساة .

وبقدر مايكون الختام مفاجئًا وغير متوقع تكون روعته وتوفيقه على أن يكون مرتبطًا بما مضى من أقوال وأفعال ،ومعرفة القارئ بنهاية القصة قبل أن ينهى قراءتها يفسدها ويذهب متعتها تمامًا .

الصراع الدرامى

يعرف معجم اللغة العربية المعاصر الصراع بأنه "خصومة ومنافسة أو نزاع أو مشادة ، وفى مجال الدراما هو تباين الشخصيات والقوى فى عمل درامى أو خيالى وخاصة التباين الذى يؤثر على العقدة ، أما فى علم الاجتماع فهو تضارب الأهداف مما يؤدى إلى الخلاف أو التصارع بين قوتين أو جماعتين ، وفى علم النفس يعنى وجود قوتين لدى الإنسان تحركان سلوكه ، كل قوة على النقيض من الأخرى ، أو هو حالة انفعالية مؤلمة تنتج عن النزاع بين الرغبات المتضادة وعدم قضاء الحاجات "(١)

ولقد أدرك الكاتب أنه فى إطار التفكير الدرامى ليس على ذاته أن نقف بعيدًا عن الذوات الأخرى وأنها " مهما كان لها استقلاليتها ليست إلا ذاتًا مستمدة من ذوات ، وتعيش مع عالم موضوعى تتفاعل فيه مع تلك الذوات"(٢)

والكاتب فى تجربته هذه يعيش صراعًا مع نفسه أحيانًا ومع غيره أحيانًا كثيرة ، والصراع هو أبرز عناصر الدراما ، والقاعدة الأولى التى تقوم عليها الأعمال الدرامية " وهاهو يصور صراعه مع عمه ليخلق مفارقات درامية قوامها الحدث ، يقول البطل عن عمه :" ودققت عليه الباب

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط(١)١٤٢٩هـ/٢٠٠٨مـ ، مادة صرع،صـ١٢٨٩.

(٢) بنية القصيدة فى شعر محمود درويش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط(١) ٢٠٠٠مـ ، صـ٢٨٠، البناء الدرامى ، عبد العزيز حمودة ، دار البشير ، ط١٩٨٨مـ ، صـ١٦.

فصاح من ورائه : لايدخل أحد .."قلت أنا سونة ياعمى " فصرخ :" امشى ياخنزير ياقليل الحياء " فقلت وأنا أغالب الضحك :" أقول لك أنا سونة "

قال : آه تقتل القتيل وتمشى فى جنازته ، هيه ؟ تحشولى ثيابى نملاً وتجئ تسأل عنى ... لتنعم بمنظر جلدى المشوه ..طيب ياملعون والله لأؤدبنك"[١]

لقد انبثقت المفارقة الدرامية هنا من ذلك الصراع الذى نشأ من طريق الحوار المخادع بين المتحاورين الضحية / العم ، وصاحب المفارقة / الطفل سونة ، فالأخير يتظاهر بمحبة عمه ، ويؤكد هذا الأمر بمجموعة من التوكيدات ؛ ليبرهن على صحة قوله وصدقه الذى يعنى الضد تماما كما نعلم، والضحية / العم الذى يجهل بالمكيدة التى يدبرها له ابن أخيه .

وتبرز ثنائية الجهل التى يقع فيها العم فى مقابل المعرفة التى يقع بها كل شئ خارج معرفته ، وهنا يبدو الطفل والسارد والمتلقى يدركون حقيقة مايدور ، ويبقى العم وحده فى دائرة الجهل .

أما عن النوع الثانى من الصراع فهو الصراع القوي الذى يحتدم داخل النفس البشرية ، حيث يجمع العديد من الحكايات ، ينظم فيها كلما تقدم الفعل عقدًا رائعًا ، حافلاً لاتمل العين من رؤيته والاستمتاع به .

ويعرف هذا اللون من الصراع بمفارقة الأحوال حيث التصادم الذى يحدث داخل الذات نتيجة لاجتماع قيمتين متناقضتين أو صفتين مختلفتين داخل الذات فى آن واحد .

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٤٣.

ويرى د/ محمد عبد المطلب أن (الحالة) تنتمى إلى الداخل ، وهى لاتعرف الثبات لكونها متغيرة ؛ ولقيامها على التحولات ، فالمصطلح يقبل (المتناقضات) الصادرة من المحل الواحد كإعطاء المحال طابعًا ممكنًا . (١)

ونلمح هذا اللون من الصراع فى رواية (عود على بدء) للمازنى ، إذ يدخل البطل فى صراع كبير مع ذاته عندما يثتثقل هذا الحلم ويضيق صدره به .

" وكان أمرى يحيرنى ، ويورثنى اضطرابًا وقلقًا شديدين ، فإنه وإن يكن هذا حلمًا فقد طال وثقل ، والأحلام لاتطرد على هذا النحو المنتظم ، والأغلب فيها أن تتغير مناظرها وصورها ومواقفها وسائر مايتمثل فيها لرائيها بغير ضابط ، وهذا الذى أنا فيه والذى أراه يجرى على نسق الحياة الدنيا ، ويسير الهوينى جدًا كتأتأة الطفل الذى يتعلم الخطو ، ومتى بالله ينتهى حلم يأبى إلا أن يبدأ من بداية العمر ... ، وسأحتاج إلى سنين وسنين كالدهر طولا حتى أكبر ، أو أفيق وأرانى مرة أخرى على سريرى فى غرفتى التى أوصدت بابها ...أتروه كسروه على ، أم تركونى أنام إلى العصر الذى أنا فيه ؟من يدرى ؟ أم الأمر جد، وقد رددت طفلا ؟ إن يكن هذا هكذا فلماذا بقى عقلى عقل رجل ؟ أم تراه سيصغر شيئًا على الأيام ... حتى ينقلب هو أيضا عقل غلام حدث ؟ فإنى أرى نفسى تنازعنى أن أصنع مايصنع الصبيان ..." (٢)

---

(١) ينظر : النص المشكل ، د/ محمد عبد المطلب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩مـ ، صـ٢٢٥.

(٢) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٤٧،صـ٤٨.

إن مازاد من حدة التصادم فى ذات البطل هو ذلك التناقض العجيب كما ورد فى النص السابق ، فقد عبر به الكاتب عن حجم الصراع الداخلى الذى تعيشه الذات (الضحية) بسبب تناقض حالتها الداخلية مما زاد من حدة المفارقة وتوترها .

العنصر الكوميدى

يكمن العنصر الكوميدى فى التضاد أو التعارض فى صور المفارقة الشكلية ، إذ إن صاحب المفارقة لايقوم بمناقضة نفسه إلا إذا كان يريد حل تناقض آخر ، ويسعى هذا العنصر إلى تكوين بنية متوازنة تسير عليها الحياة ، ومغادرة النظرة الأحادية الجانب لدى المتلقى ، من أجل تحريك الذهن عبر رؤية نقدية فعالة تقوم على الدلالة الثنائية التى تخلق من ورائها الاهتمام بصورة الوجود ، فالحياة لاتسير على وتيرة واحدة ، لاتسير على الألم وحده ، أو تكتفى بالكوميديا فحسب ، بل يشترك الاثنان معا لخلق التوازن .

ومن الجلى أن المفارقة فى الأدب لاتحقق إلا " عندما يكون الأثر الناجم عنها مزيجًا من الألم والتسلية " [(١)]إن العنصر الكوميدى عنصر غير متوقع الغاية منه تحقيق الدهشة والمتعة والإثارة لدى المتلقى الذى ينفعل مع المفارقة نظرًا لما يمتلكه المازنى من ظرف وجدة وذكاء وفطنة متميزة إضافة إلى خبرته التى اكتسبها من حياته بصالحها وطالحها ، إذ يصور لنا مشهدًا من مشاهدها فى أسلوب كوميدى هجائى ساخر عند رغبة زوجته فى

(١) المفارقة وصفاتها . دى سى . ميويك ، ترجمة / عبد الواحد لؤلؤة ، صـ ١٤٠. المفارقة فى قصص يوسف إدريس القصيرة ، نجاة على ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط(١)٢٠٠٩م ، صـ ٥٥.

بداية الرواية فى زيارة الشيخة (صباح) ، يقول المازنى على لسان البطل : " من حسن الحظ أنه لن تنصب امرأة لنا الميزان يوم الحساب ، على كل حال ، نحن الآن بعد العصر ، ومازال علينا ــ على أنا ــ أن نقطع مائة كيلو وزيادة قبل أن نبلغ القاهرة ، وأخشى أن يتحلل بى التعب إذا أدركنا الليل قبل أن أفرغ من الطريق ، أم ترى تعبى راحة لك ؟ ثم إنك قد سلمت عليها منذ أربعة أيام ليس إلا ، فما حاجتك إلى سلام جديد ؟ أهو زاد تتزودينه للطريق ؟ " (١)

من الملاحظ أن عنصر الكوميديا قد زاد من قوة المفارقة الدرامية ، ولكن الضحك الذى ينتج عن الدراما قد لاينشأ من السرور بقدر ماينشأ من المأساة التى تعيشها الضحية ويعيشها مجتمع بأسره ، فالكاتب يحاول من خلال هذا المشهد التحرر من ربقة العادات والتقاليد السائدة ، وسيطرة الأفكار المتعارف عليها من زيارة الشيوخ ومالى غير ذلك .

وقد تنشأ المفارقات الدرامية عن مواقف طريفة مضحكة تكون ضحيتها غافلة عما يدور حولها أو مايقال عنها ، أو غير مدركة لعواقب سلوكها وتصرفاتها ، بينما جمهور المراقبين يعرفون مآل الأحداث وبالتالى يدركون المفارقة ، من ذلك قول الرجل (البطل) عن خادمته العجوز :"وأعود إلى هذه الخادمة المخلصة الأمينة ، فأقول إنى أغلط أحيانًا فأناديها وأطلب أن تجيئنى بشئ فتجيئنى بخلافه ، ولا تغلط مرة واحدة فتجئ بما أريد .أقول : هاتى الكبريت . وليس فى لفظ الكبريت ولا فى حروفه مايمكن أن يلتبس بالجبن الرومى ، وهى ليست بالصماء فإن سمعها كسمع القطة ،

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٧.

وأنا خفيض الصوت ولكنى أتوخى معها أن أزعق وأصيح ، حتى ليبح صوتى ، ويوجعنى حلقى ، وأمرض يوما أو يومين ، ومع ذلك لاتكاد تسمعنى أطلب الكبريت حتى تقول " حاضر " وتعمد إلى ملاءة سوداء تلفها على نفسها ...وتخرج فتشترى لى جبنا قد يكون روميًا غير مزيف أو مقلد ، ولكنه لم يخطر لى على بال ، ولا كانت لى رغبة فيه ، وأراها مقبلة علىَّ تحمل على كفيها صينية عليها طبق فيه الجبن الرومى وشوكة وسكينة وفوطة ولقمة ، فإنها تدرك من تلقاء نفسها وبغير حاجة إلى تلقين أن الجبن الرومى لايؤكل وحده فلابد من خبز معه ، ومادام سيدها سيأكل ، وقد اشتهت نفسه الجبن الرومى فهل تتركه يوسخ يده ؟ معاذ الله ، وهذا تفسير الشوكة والسكينة "[١].

ترتسم على شفاه جمهور المتلقين ابتسامة خفيفة من مواقف دراميةملحوظة فى الرواية على شاكلة النص السابق ، يزيدها قوة وكوميدية غفلة الضحية ، وعدم إدراكها للمواقف الطريفة .

التجرد

يوجد التجرد أحيانا فى الأسلوب المصطنع لدى صاحب المفارقة ، وأحيانا فى الموقف الفعلى لدى صاحب المفارقة أو المراقب المتصف بها ، المتسم بالموضوعية والصفاء وعدم الحماس ، وكأن الأمر لايعنيه[٢] " إن ما يشعر به المراقب ذو المفارقة ــ عادة ــ فى وجود موقف المفارقة يمكن أن يلخص فى كلمات ثلاث : التفوق ، الحرية ، التسلية ، فوعى صاحب

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ١١،صـ١٢.

(٢) عناصر الإبداع الفنى فى شعر أحمد مطر ، كمال أحمد غنيم ، منشورات ناظرين ، ط(١) ٢٠٠٤مـ ، صـ٢٧٠،صـ٢٧١.

المفارقة بنفسه بوصفه مراقبًا يميل إلى زيادة شعور بالحرية وتوفير حالة من الصفاء ، والابتهاج أو ربما الحبور ، وإن وعيه بغفلة الضحية يدفعه لأن يرى الضحية مقيدًا متورطًا بينما ينعم هو بالحرية ، مرتبطًا بينما يكون هو غير ملتزم ، مطمئنًا سريع التصديق أو ساذجًا بينما يكون هو غير ملتزم، راضيًا بتأجيل الحكم ، وحيث يكون موقفه موقف امرئ يبدو عالمه حقيقيًا ينطوى على معنى ، يجد عالم الضحية وهمًا أو تافهًا "[١]

فصاحب المفارقة يحاول التجرد من الضحية على قدر كبير من عدم الاهتمام والتخلى عن المسئولية ، فى حين يكون الضحية مغرقًا بالغفلة التى تؤدى به إلى حالة من التضاد بين مايعتقد به من جهة ، والمعنى الحقيقى من جهة أخرى ، إذ يرفض صاحب المفارقة هذه الغفلة ، ولا يريد الشعور بها فى الحياة ، فالتظاهر عنده يرجع إلى الاستجابة النفسية التى يبثها الكاتب الذى يتجرد من فعل المفارقة فى أخذ دور المراقبة لها من الخارج ، فيشعر بوجود موقف يمكن وصفه بدرجة كبيرة من الحرية والتفوق الذى يرقى بالمراقب إلى التسلية عندما يقوم بتصوير مايراه فى الحياة تعبيرا عن إحساسه بها فى تعبير لغوى يعتمد على الذكاء والفطنة .

ومن المفارقات اللطيفة التى يتجرد فيها الكاتب (صاحب المفارقة) ؛ ليوضح حالة الطفل (الضحية) بطريقة فيها الكثير من السخرية والضحك وتعريتها بكشف ظاهرها الذى ينم عن باطنها . يقول المازنى :ـ" وتصور غلاما فى ثياب جديدة نفيسة ، وجيوبه تطل منها وتتدلى قشور الفواكه ، من مثل الموز والبرتقال والليمون الحلو !حتى العرى أدخلت فيها "

(١) مفهوم المفارقة فى النقد العربى ، نجاة على ، مجلة نزوى ، عمان ، العدد ٥٣ عام ٢٠٠٩مـ .

قصاصات " من هذه القشور ، وعقدت على هيئة الأنشوطة ، حتى زيق السترة المحيط بالعنق تدلى من تحته قشر الموز ، حتى الرأس رشقت وردتان على جانبيه ، وزين اليافوج بنثار الزهر "[١].يرسل المازنى خطابًا مباشرًا إلى قرائه فى لغة مكثفة بطاقات تعبيرية تصدم المتلقى فيما يثيره الكاتب من سخرية واستهزاء وإنقاص لشأن الضحية .

التوتر

هو الصفة التى تصنع شكل العمل الأدبى ووحدته ، ولعل التوتر يرجع إلى الفكرة الإغريقية القائلة بأن الكون هو صراع الأضداد ينظمه عقل متعال أو عدالة تفد من خارج الكون ، والتوتر يوحد بين المعانى الحرفية والاستعارية فى العمل الأدبى ، أى بين ماهو مكتوب وما هو متضمن غير مكتوب .

عند النقاد الغربيين هو ذلك التشاد بين أجزاء الحبكة فى القصيدة أو المسرحية أو الرواية التى تؤدى إلى مايسمى بالتشويق ، وعلى هذا يصبح النص الأدبى سلسلة من التوترات ، كل منها يؤدى إلى مايليه . [٢].

ومن هنا يتضح لنا أن التوتر هو التأثير الذى يخلقه الصراع إذا ما استخدم استخدامًا سليمًا ، وإنه بغيرصراع فى العمل سيكون لدينا جمهور متثائب خامل . وهناك صنوف عديدة من التوتر قد تكمن فى عدة أسئلة :

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ٥٦.

(٢) المعجم المفصل فى الأدب ، د/ محمد النوتجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩مـ ، صـ ٢٩٠، معجم مصطلحات اللغة والأدب ، مجدى وهبة / كامل المهندس ، بيروت ـ لبنان ، ط(٢) ، ١٩٨٤، صـ١٢٥.

ماذا يحدث بعدئذ ؟ كيف سيحدث إن كنت تعرف مايحدث ؟ أو أنا أعرف ماذا سيحدث وأعرف كيف سيحدث ، لكن كيف سيكون رد فعل فلان تجاه مايحدث؟ أو ماسيحدث ؟

وتتكئ المفارقة الدرامية فى بنائها على عنصر التوترإذ بوجوده تنشأ مفارقة استحالة الطلب ، حيث يتم تقديم طلب معين تعود نتيجته بطريقة الاستحالة على طالبه ، ولا يمكن أن يكون ذلك حقيقيًا إلا على أساس من المفارقة ، إذ تطلب الضحية (ضحية المفارقة) طلبًا يستحيل تحقيقه ، نجد ذلك فى قول المازنى على لسان الضحية :"هل يعقل أن يصدقوا أن الطفل الأمرد هو رجلهم الذى اختفى بقدرة قادر ؟ أو مات ؟ وهبنى اتخذت التليفون وسيلتى إلى إبلاغهم ماكان ألا يعذرون إذا ظنوا أن غلاماً يتماجن عليهم فى محنتهم ؟ولكن ألا تنوب عنى هذه الفتاة الكريمة فى أداء هذا الواجب ؟ وماذا يكون حكم الله إذا ذعرت مرة أخرى وأغمى عليها ؟ لابأس من التجربة على كل حال ، ولنمض على حذر والله المعين " [١]

تقع الضحية هنا فريسة لغفلتها وجهلها أمام جمهور مدرك تمامًا لوضعها ، ومما يزيد من حدة المفارقة توقع الضحية أو افتراضها بأن طلبها يمكن أن يتحقق ، ذلك أنه يطلبه من الخادمة دون خشية سخريتها أو على الأقل تعجبها من طلبه .

إن هذا التوتر الذى نجده فى المفارقة الدرامية يقودنا إلى نوع آخر من المفارقة يسمى بالمفارقة التصادمية التى تعد بمثابة ارتداد نفسى إزاء الصراعات المتوترة داخل الذات الكاتبة ؛ لتقوم بمهمة البوح الذاتى عما

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٤٤،صـ٤٥.

يعتصرها من أنَّات وتأزمات داخلية ، وإحساسات مصطرعة تراود الذات لحظة تأملها أو تأزمها إزاء الواقع المتصدع الذى تعانيه [١].

إن هذه المفارقات التصادمية فى الرواية مفارقات توترية حادة ، تنبنى على التصادم الدلالى الحاصل من جرَّاء الجمع بين المتناقضات ؛ لتعزيز الفكرة المرجوة .

المفارقة القدرية

يعد القدر عاملا مهما فى توليد مفارقة الحدث فى رواية (عود على بدء) للمازنى ، وذلك لأن " التضاد بين الإنسان بآماله ومخاوفه ورغباته وأفعاله ، وبين مصير مظلم لايلين ، يقدم مجالاً واسعًا لعرض المفارقة المأسوية " [٢]

ويفسح المجال أمام الكاتب للتعبير عن هذه المخاوف بسبب شعوره بالمأساة فى ما سيلاقيه من أحداث فى المستقبل ارتبطت بعيوب لايمكن إصلاحها .

وقد استطاع القاص تصويرالدور الذى يلعبه القدر بصوره المتعددة التى تشكل مصير الإنسان لدرجة الإحساس بالاغتراب والانفصال عن الذات، وتصوير ذلك كله بمنظور المفارقة ، كما حدث لبطل الرواية ، فالبطل يصاب بالدهشة عند استيقاظه من نومه ، ورؤيته المنزل الجديد ، وخادمته الشابة الجميلة: " وكان النوم عميقًا هنيئًا لاحلم فيه فاستوفيت حظى منه كاملاً

---

(١) حداثوية الحداثة (شعر بشرى البستانى)أنموذجًا (دراسة تأسيسية فى ماهية الجمال الشعرى بالبصرى)عصام شرتح، ط(١) ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م ، صـ٤٠.

(٢) المفارقة وصفاتها ، دى سى ميويك ، ترجمة / عبد الواحد لؤلؤة ، صـ١٤٩.

لاينقص دقيقة واحدة ، ثم استيقظت على نور الصبح ، فتعجبت لهذه البلجة، من أين جاءت ، وأنا قد أغلقت الشبابيك والباب قبل أن آوى إلى الفراش ؟ وفركت عينى لاستثبت ، ولكن الضوء الساطع كان يحوجنى إلى تغميض عينى ، والمداناة بين جفونها ، على أنى مالبثت أن فتحت عينى جدًا ، فقد رأيت امرأة فى مئزر أبيض ، تنحى ستائر عن شباك ــ كاباب ــ عريض لاعهد لى بى ، فغضضت البصر وأدرت وجهى إلى الحائط " [١]

فحالة الإرباك الشديد التى أصابت بطل الرواية تهيئ النص لاحتمالات يفترض أن يتجه إليها قبل اكتماله ، فالمتوقع أن يستيقظ من نومه على صوت زوجته وأولاده ، وإلا لما يصاب بالدهشة عند سماعه صوت خادمته الجميلة ، غير أن التوقع يخيب ، وتتحول مجريات القصة من حال إلى حال آخر تماما .

وانتقال السارد من الواقع (الحاضر) إلى الماضى لا يعدو أن يكون نفيسًا ، إذ إن الدافع إلى تذكر مرحلة الطفولة إحساس البطل العام بالخطر القادم تجاه بلوغه المشيب ، كونه يمثل أول علائم الضعف التى تدب فى كيان المرء ، وتدل على قرب خاتمته الدنيوية نحو الفناء ، حيث توصد باب الشباب وألقه وتبدأ مراحل مواجهة النفس الإنسانية لحقائقها المرة ، وإدراكها لغفلتها عن إدراك وقوع المحتوم ، وهنا تأتى المنية التى لامناص لدفع وقوعها ولو افتداها بكل غال نفيس من أموال أو أولاد أو حتى نفسه فجميعها لاتغنى عن المرء شيئًا .

---

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ١٥،صـ١٦.

ومن البدهى أن الشباب فى أوانه يعد سمة للقوة والحيوية ، لكن بزوغه هنا فى غير محله يشكل مفارقة زمنية كبرى يقع البطل ضحية فيها بسبب القدر الذى كتب عليه ، نظرًا لما يعيشه من تناقض حقيقى اعتصره بالألم والحسرة على فناء شبابه دون عودة .

هذا التحول المفاجئ الذى قلب مجرى الحدث يكشف لنا عن درجة عالية من الغربة المطلقة التى يعيشها الإنسان ، ويلعب القدر الدور الأكبر فى تصعيد هذه المفارقة الموجعة التى تكشف لنا عن سقوط الإنسان وخوفه من مصيره المجهول ، وما سيؤول إليه حاله مما يولد غربة نفسية عند الإنسان .

يقول المازنى على لسان الضحية :" وقلت لنفسى : ينبغى أن أحصى مزايا هذا التحول ومساوئه ، فمن المزايا أنى رددت طفلاً غنيًا ، وكان من السهل أن يقلبنى الذى قلبنى طفلاً فقيرًا ، يسكن كوخًا حقيرًا ، ويعانى مرارة الفاقة وذل الحاجة ، ثم إن هذه الأم رقيقة القلب حنانة ، وهى إلى هذا تشبه زوجتى، بل هى بعينها ، فأنا لا أشعر أنى فارقت زوجتى ، فإنها معى أبدًا ، وإن كنت قد حرمت مايجنيه الزوجان من متع القرب ...يبقى الولدان ، وفى وسعى أن أراهما متى شئت ، كما رأيتهما الليلة ، وإن بينى وبين أصغرهما لثأرا ، ولكنى بعد أن أصخه كما صخنى أستطيع أن أفئ به وبأخيه إلى الصداقة والمصافاة ،ويكبران وأكبر ، فما أغرب وأحلى أن نصبح أترابًا ...وأكون لهما صديقًا لايعلمان أنه أبوهما "[١]

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٧٣.

ثم يصور المازنى هموم الإنسان وصراعه الدائم مع القدر دون تقـديم حلول ، وإن وجدت الحلول فهى غير مقنعة ، فالرجل (صاحب المفارقـة) وضحيتها عاجز عن فعل أى شئ حيال القدر ، ولذا نجده فى نهاية المفارقة يقول : ولكن البلاء والداء العياء أنى لاأرانى مطيقًا لاعتياض هذه الشخصية الفجة التى لم تنضج ، من شخصيتى القديمة ، كـلا هـذا عسـير ، وهـو المعضلة الكبرى فى الأمر كله ، وما أرى الذى أتانى هذا الجسد الصغير إلا قد أخطأ وكلفنى شططا "[١]

إن مفارقة القدر هى تلك المفارقة التى تحدث مصادفة دون أي ترتيب مسبق ، إنها من صنع القدر وعادة ما تكون ذات طابع مأسـاوي ، تـرتبط بالزمن وتحولاته التى تحكمها الظروف المحيطة بحياة الإنسان وتحولاتهـا بين السعادة والشقاء.

(١) عود على بدء ، المازنى ، صـ ٧٣،٧٤.

الخاتمة

الحمد لله الذى لولاه ماجرى قلم ولا تكلم لسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أفصح الناس لسانًا وأوضحهم بيانًا ، ثم أما بعد ؛

فلقد قامت هذه الدراسة على تقصى المفارقة الدرامية فى قصة (عود على بدء) للمازنى ، وتناولها تناولاً يتكئ على الدراسة البنيوية ، وعلى المنهج الوصفى التحليلى الذى يكشف عن جماليات المفارقة ووظائفها الفنية، كما يكشف عن المعنى الذى ساقه الأديب فى نصوص متناقضة تهدف إلى غاية معينة فى نفسه ، وتبين لنا أن لجوء المازنى إلى هذا اللون من المفارقة تعد محاولة جادة منه لإعادة تشكيل الواقع تشكيلاً يتفق مع رؤيته وحاجته إلى واقع يوسع مساحة الحرية لديه ومن كان على شاكلته.

وما من شك فى أن المازنى (صانع المفارقة) قد وظفها توظيفًا تامًا حين رأى أن الواقع عبارة عن جملة من المتناقضات وأن واقعه الاجتماعى مليئ بهذه المفارقات ، ولذا فقد استطاع أن يعبر عما يريد باستخدام تلك المتناقضات والمتنافرات التى هدفت إلى إثارة المتلقى وإحداث نوع من المتعة الجمالية .

<u>وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها :</u>

•أن للمفارقة وظيفة مهمة فى الأدب عمومًا وفى الرواية خصوصًا ، فهى تعكس جوهرها من خلال الصراع والتناقض الحاصل داخلها ، وبين الحلم والواقع ، وبين الداخل والخارج فضلاً عن التناقض فى بناء الزمن ، ولعل هذا ماأعطى للرواية جماليتها .

•يعد الأسلوب المفارقى من أبرز الأساليب الأدبية التى يمكن من خلالها معالجة الأوضاع الاجتماعية والسياسية .

•الغاية من المفارقة هى خلق أو إيجاد نص جديد يخلق عالمًا فنيًا قابلاً للنقد والتعديل ، وقابلاً للنظر والقراءة قبل كل شئ .

•المفارقة عند المازنى ليست وليدة موقف عابر ، لكنها وليدة إحساس داخلى أو رؤية خاصة نظر من خلالها إلى الحياة بمنظار المفارقة التى ترى الحياة سلسلة من المفارقات والمتناقضات العجيبة.

•أن المازنى بدا واع جدًا بأشكال المفارقة التى وظفها فى روايته ، كما كان على وعى تام بجدوى القرائن التى يبثها صانع المفارقة فى ثنايا النص لكى يوجه القارئ إلى اكتشاف المفارقات والتلذذ بها.

•تقوم المفارقة الدرامية فى الأساس على استحضار النص الروائى بشخوصه وبنائه وحبكته السردية ، وذلك من خلال آليات متعددة منها : العنصر الكوميدى ، التوتر ، الصراع ، الشخصيات ، التجرد ، المفارقة القدرية وغيرها من الوسائل التى تمكن المفارقة من ممارسة أثرها على المتلقى.

•أن الكاتب صانع المفارقة الذى لايفصله عن الواقع شئ يستطيع بكل مأوتى من قوة وموهبة ومقدرة فذة رصد متغيرات الحياة دون مبالغات تبعدها عن الواقع ،ولا يشوب لغته غموض كما وجدنا عند كاتبنا الكبيرإبراهيم عبد القادر المازنى .

•جمعت المفارقة الدرامية عند المازنى بين الانفعال والسلوك اللذين أسهما فى إحداث هذه المفارقة التى أظهرت تناظرات ضدية خالفت المألوف

وكسرت أفق التوقع عند المتلقى ، وهى لاتخلو من السخرية والاستغراب والدهشة من سلوك الضحية وتصرفها فى المواقف التى تمر بها .

•قدرة المازنى وتمكنه ورؤيته الثاقبة على تطويع هذه التقنية الحداثية لنصه القصصى .

•أظهر لنا البحث أن المازنى معنى بالواقع الاجتماعى ومشاكله التى كانت وراء الكثير من المفارقات فى نصوصه القصصية .

•من خلال دراستنا لعنصر الزمن وآلية ترتيبه فى الرواية بدا لنا أنها تحوى تقنيتى (الاسترجاع والاستباق) ، إذ عكستا تماما ماكان يجول فى عالم الكاتب من أحلام وأمنيات كانت مكبوتة نتيجة لضغط الحاضر بكل مايحفل من منغصات تبعث على التبرم وعدم الاستقرار ، وقد ولد هذا الأمر عند الكاتب الهرب من الحاضر باتجاهين متعاكسين منحا الكاتب إحساسًا بنوع من التوازن .الاتجاه الأول / وتمثله تقنية الاسترجاع (الارتداد إلى الماضى) من خلال تعلق الشخصية بذكر أحداث وقعت فى الماضى ، وأثرها فى نفسه. الاتجاه الثانى / ويمثله تقنية الاستباق (القفز إلى المستقبل) ، إذ تنبأت إحدى الشخصيات بالمستقبل ، وقد بدا ذلك واضحًا فى بداية الرواية.

•التداخل الحاصل بين الأزمنة فى الرواية كسر رتابة الزمن من خلال الرجوع إلى الماضى ومنح للرواية حيويتها وتفردها .

•إن دراسة المفارقة الدرامية باعتبارها بنية أصيلة فى النص ، ولبنة من لبناته تدعم الثنائية المركزية وتجرى فى فلكها ، وهى تقنية تزيد درجة تيقظ المتلقى الذى تمرن على اكتشاف الثنائيات ، بحيث تدفعه المفارقة إلى

التأنى ، وقد توقعه فى بعض الأحيان إلى توهم انتصار ما لطرف من طرفى الثنائية واكتشاف خطأ توهمه .

وإنى لآمل أن أكون قد وفقت فى هذا البحث المتواضع ، وأضفت خطوة سديدة على طريق الدراسة ، وأن يكون جهدى إسهاما مضافًا إلى الساحة الأدبية والنقدية ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إبراهيم عبد القادر المازنى ــ شاعر النفس والحياة ــ د/ عبد الطيف عبد الحليم، الدار المصرية البنانية ، ط(١) ١٤١٩هـ/١٩٩٨مـ.
- بحوث فى الرواية الجديدة ، ميشال بوتور ، ترجمة /فريد أنطونيوس ، سلسلة (زدنى علما) عويدات ، بيروت ، باريس ، ط(٢)، صـ ٩٨.
- بناء المفارقة فى فن المقامات عند بديع الزمان الهمذانى والحريرى ، نجلاء وقاد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦مـ.
- بناء المفارقة نظرية تطبيقية ، أدب ابن زيدون نموذجًا ، د/ أحمد عادل عبد المولى ، مكتبة الآداب ، ط(١) القاهرة ، مصر ٢٠٠٩مـ.
- بنية الشكل الروائى ، حسن بحراوى ، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء ١٩٩٠م.
- بنية القصيدة فى شعر محمود درويش ، ناصر على ، المؤسسة العربية للدراسات وانشر ، بيروت ، ط(١)٢٠٠١مـ.
- البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، محمد العمرى ، دار نشر إفريقيا للشرق ، المغرب ، ط(١) ٢٠٠٥مـ.
- البناء الدرامى ــ عبد العزيز حمودة ، دارالبشير ،ط١٩٨٨مـ.
- جماليات الأسلوب والتلقى (دراسات تطبيقية) ــ موسى ربابعة ــ دار جريرللنشر والتوزيع ــ عمان ط(١)٢٠٠٣مـ.
- جمالية التلقى (من أجل تأويل جديد للنص الأدبى) ، هانز روبرت ياوس، ترجمة / رشيد بنحدو ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر، ط(١)٢٠٠٣مـ.

- خطاب الحكاية ، جيرار جينيت ، ترجمة / محمد معتصم وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،١٩٩٧م.
- سحر النص ، من أجنحة الشعر إلى فن السرد ، محمد صابر عبيد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت٢٠٠٨مـ.
- سرد الأمثال ــ دراسة فى البنية السردية لكتب الأمثال العربيةـــلؤى حمزة عباس ، اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق ــط(١) ٢٠٠٣مـ.
- السرد المزور ــ قنديل خليل ــ صحيفة الدستور ــ الملحق الثقافى ــ ٢٠٠٩/١٠/٣٠مـ.
- عتبات جيرارجينيت من النص إلى المناص ــ عبد الحق بلعابد ، تقديم/ سعيد يقطين ، نشر الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، ط(١) ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨مـ .
- عناصر الإبداع الفنى فى شعر أحمد مطر ، كمال أحمد غنيم ، منشورات ناظرين ،ط(١)٢٠٠٤مـ.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، على عشرى زايد ، مكتبة الآداب ، ط(٥) القاهرة ٢٠٠٨مـ.
- عود على بدء ــ المازنى ، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة .
- فن الرواية العربية ، يمنى العيد ، دار الأدب ، القاهرة ، د.ط، د،ت .
- فن القصة بين النظرية والتطبيق ــ د/ نبيلة إبراهيم ، ط دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٥مـ.
- لسان العرب ــ ابن منظور ، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) دار صادر ، بيروت ، ط(١) ١٩٩٧مـ ، مجلد (٥) مادة (فرق) .
- مستويات اللغة فى السرد العربى المعاصر ــ محمد سالم الأمين ، ط(١)، مؤسسة الانتشار العربى ، لبنان .

- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط(١)١٤٢٩هـ/٢٠٠٨مـ ، مادة صرع،صـ١٢٨٩.
- معجم مصطلحات اللغة والأدب ، مجدى وهبة / كامل المهندس ، بيروت ـ لبنان ، ط(٢) ، ١٩٨٤، صـ١٢٥.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ـ د/ سعيد علوش ، ط(١) دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥مـ
- المعجم المفصل فى الأدب ، د/ محمد النوتجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩مـ
- مفهوم المفارقة فى النقد الغربى ، نجاة على ،عمان ، مجلة نزوى ، العدد ٥٣، ٢٠٠٩مـ.
- المازنى ساخر العصر الحديث ـ د/ أحمد السيدعوضين ، الدار المصرية اللبنانية .
- المصطلح السردى . جيرالد برانس ، ترجمة / عابد خزندار ، مراجعة وتقديم / محمد بريرى ، المجلس الأعلى للثاقفة ، ط(١) ٢٠٠٢مـ ، صـ٢٤
- المفارقة ـ د/ نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول ، مجلد (٧) العدد٣، ٤،القاهرة ١٩٨٧مـ .
- المفارقة فى شعر الرواد ـ قيس الخفاجى ، دار الأرقم للطلاعة والنشر ، بابل ، العراق ،ط(١)٢٠٠٧مـ.
- المفارقة فى الشعر العربى الحديث (أمل دنقل ، سعدى يوسف ، محمود درويش) أنموذجًا ، ناصر شبانة ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، ط(١) ٢٠٠٢مـ .

- المفارقة فى القص العربى المعاصر ــ سيزا قاسم ، مجلة فصول ، القاهرة ، القاهرة ، مجلد (٢) العدد(٢) ١٩٨٢مـ.
- المفارقة فى قصص يوسف إدريس القصيرة ــ نجاة على ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط(١) ٢٠٠٩مـ.
- المفارقة فى النص الروائى (نجيب محفوظ أنموذجا) ــ حسن حماد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط(١)٢٠٠٥.
- المفارقة القرآنية .دراسة فى بنية الدلالة ، د/ محمد العبد ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط(٢) ٢٠٠٦مـ .
- المفارقة وصفاتها ، موسوعة المصطلح النقدى ،دى سى ميويك ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، المجلد الرابع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٣مـ.
- من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة .دراسة تحليلية نقدية فى النظريات الغربية الحديثة ــ عبد الكريم شرفى ، منشورات الاختلاف ، ط(١) ، الجزائر .
- النص المشكل ــ د/ محمد عبد المطلب ، الهيئة العامة القومية لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩مـ .
- نظرية التلقى أصول ....،وتطبيقات ، بشرى موسى صالح ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط(١)٢٠٠١م.
- نظرية المفارقة ــ خالد سليمان ، أبحاث اليرموك ، الأردن ، مجلد (٩) العدد (٢)١٩٩١مـ.
- النقد العربى الحديث ، عمر عيلان ، الدار العربية للنشر ــ ناشرون ، ط ٢٠١٠مـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٤١١
٢-	Abstract	٤٤١٢
٣-	المقدمة	٤٤١٣
٤-	التمهيد : مفهوم المفارقة	٤٤١٧
٥-	المبحث الأول : المفارقة الدرامية	٤٤٢٨
٦-	ملخص رواية (عود على بدء) للمازنى	٤٤٣٤
٧-	السرد فى الرواية	٤٤٤١
٨-	المفارقة الدرامية فى الرواية	٤٤٤٤
٩-	المبحث الثانى : تقنيات المفارقة الدرامية	٤٤٥٠
١٠-	مفارقة الشخصية	٤٤٥٠
١١-	كسر أفق التوقع (المسافة الجمالية)	٤٤٦١
١٢-	الصراع الدرامى	٤٤٦٤
١٣-	العنصر الكوميدى	٤٤٦٧
١٤-	الخاتمة	٤٤٧٧
١٥-	ثبت المصادر والمراجع	٤٤٨١
١٦-	فهرس الموضوعات	٤٤٨٥